المشرق

رسالة عامة من سيدنا الاب الأقدس

البابا بيوس العاشر

الى المطارنة والاساقفة والاكليروس والشعب الافرنسي

الى ابنائنا الاحباء

فرنسوا ماري ريشار كردينال الكنيسة الرومانية المقدسة من رتبة الكهنة ومطران باريس فكتور لوسيان ليكو كردينال الكنيسة الرومانية المقدسة من رتبة الكهنة ومطران بوردو پيار هكتور كوليه كردينال الكنيسة الرومانية المقدسة من رتبة الكهنة ومطران ليون يوسف ڤلوم لابوره كردينال الكنيسة الرومانية المقدسة من رتبة الكهنة ومطران رين . والى سائر اخوتنا المحترمين مطارنة واساقفة . والى جميع الاكليروس والشعب الافرنسي

ايها الاخوة المحترمون والابناء الاعزاء السلام والبركة الرسولية

تفيض نفسنا هموماً موجعة ويطفح قلبنا حرقةً وغمًّا كلما وقف الفكر منا عندكم .

ومن اين لنا ان نكون على غير هذا الحال بعد اذاعة القانون الذي نقض عهوداً قديمة كانت تربط شعبكم بالكرسي الرسولي وأوجد الكنيسة الكاثوليكية في فرنسة بموقف محزن لا يليق بها؟ فان هذا الحادث لهو من اعظم الحوادث خطراً وشأناً. حادث يقضي على كل ذي راي قويم بان يأسف له لانهُ شؤم على الديانة والهيأة المدنية معاً. غير انهُ ما كان ليذهل احداً بشرط ان ينتبه ولو قليلاً الى السياسة الدينية المتَّبعة في فرنسة بهذه السنوات الاخيرة

وانتم كذلك ايها الاخوة المحترمون ما كانت عندكم هذه السياسة لا شيئاً جديداً ولا امراً مفاجئاً فقد كنتم شهوداً على الضربات العديدة الهائلة التي انزلها اولياء الامور مرَّة بعد اخرى بالديانة. على نقض الزواج المسيحي بشرائع مضادة صراحةً لقداستهِ وحرمتهِ. على اخراج الديانة من المدارس والمستشفيات. على ابعاد الاكليروس من دروسهم وقوانينهم لاجبارهم على الخدمة العسكرية. على تشتيت وتجريد الجمعيات الرهبانية وايصال اعضائها في اغلب الاوقات الى آخر حدٍّ من الحاجة. وقد ألحقوا هذه الشرائع بشرائع اخرى ليس بينكم من يجهلها فقد نسخوا القانون الآمر بالصلوات الجهارية في افتتاح المحاكم وابتداء الجلسات البرلمانية. ابطلوا علائم الحداد المتخذة من زمان قديم في السفن يوم الجمعة العظيمة. حذفوا من اليمين التي تُحلَّف في المحاكم ما يشير الى صبغتها الدينية. نقوا من المحاكم والمدارس والجيش والبحرية وجميع المؤسسات العمومية كل عمل او كل علامة تشير ولو اشارةً خفيفة الى الديانة. فهذه التدابير وغيرها التي فصلت الكنيسة شيئاً فشيئاً بالفصل عن الحكومة ما كانت سوى مقدِّمات للوصول الى الفصل التام الرسمي لان العاملين عليها ما ترددوا عن المجاهرة بذلك في فرص متعددة

فرغبةً في ابعاد هذه البلية العظيمة لم يدَّخر الكرسي الرسولي شيئاً من المقدرة لانهُ من جهة كان لا يكفُّ عن تنبيه متولي الشؤون الافرنسية و يستحلفهم مراراً لتقدير عظمة الشرور التي تتولد طبعاً عن سياستهم الانفصالية. ومن جهة اخرى كان

يوفر تجاه فرنسة الادلة الناطقة بمزيد انعطافه وتنازله. وكان يحق له ان يترجى بهذه الوسيلة وبفضل روابط عرفان الجميل انهُ يتمكن من ايقاف هولاء الساسة عند الشفير الذي وصلوا اليهِ و يسوقهم اخيراً الى العدول عن مقاصدهم. غير ان كل ما ابداه من الرعاية والتنازل والمساعي سواء كان من جانب سالفنا او من جانبنا ظل خالياً من الجدوى فان اعتساف اعداء الديانة انتهى بالظفر قوةً واقتداراً بما قد طالما تاقوا اليهِ ضد حقوقكم بصفة امة كاثوليكية وضد كل ما كان يتمناه العقلاء. وبناء عليهِ ففي مثل هذه الساعة الثقيلة على الكنيسة تدعونا واجبات مقامنا الرسولي ان نرفع الصوت ونكشف دخيلة نفسنا لكم ايها الاخوة المحترمون ولاكليروسكم وشعبكم انتم الذين قد طالما اكتنفناهم بمحبة خصوصية وزدنا الآن كما هو الواجب محبةً لهم وانعطافاً اكثر من كل وقت

ان القول بلزوم فصل الحكومة عن الكنيسة قضية كاذبة وغرور مضر للغاية فانهُ لما كان مبنياً على هذا المبدإ وهو ان الحكومة لا ينبغي ان تعترف بدين مخصوص اصبح مهيناً لشد اهانة لله عز وجل لان بارئ الانسان هو ايضاً مؤسس الهيئات البشرية وحافظها في الوجود وعاضدنا فيها فمن واجباتنا اذاً ان لا تكون لنا فقط ديانة افرادية بل ايضاً ديانة عمومية واجتماعية لتكريمهِ

ثم ان هذه القضية هي انكار صريح للنظام الفائق الطبيعة لانها تحصر عمل الحكومة في السعي للنجاح العمومي الذي ما هو الا غاية قريبة للهيئات السياسية في هذه الحياة ولا تلتفت قطعاً الى غاية الانسان الاخيرة التي هي الغبطة الابدية بعد انقضاء هذه الحياة لاعتبارها اياها انها غريبة عنها

الا انهُ لما كان النظام الحاضر الجاري في كور الزمان مترتباً على امتلاك هذا الخير السامي المطلق وجب على السلطة المدنية ان لا تحول دون هذا الامتلاك بل ان تسعفنا للوصول اليهِ

وهذه القضية تؤدي ايضاً الى قلب ما وضعهُ الله بكل حكمة في العالم من

النظام الذي يستلزم ائتلافاً عظيماً بين الهيئتين . ولهاتين الهيئتين اي الهيئة الدينية والهيئة المدنية موضوعات بعينها وان كانت كل واحدة تنفذ سلطتها في هذه الموضوعات ضمن دائرتها الخاصة . فينتج بالضرورة انهُ توجد مواد كثيرة ينبغي لكل واحدة من الاثنتين ان تهتم بها كأنها من صلاحيتها . وعليهِ فلو زال الاتفاق بين الحكومة والكنيسة فلا بد ان تتكاثر وتشتد من الجانبين اسباب الخلاف في هذه المواد الشائعة بينهما ويتبلبل تصوُّر الحق وتقلّ النفوس قلقاً

نقول اخيرًا ان هذه القضية تنزل اضرارًا عظيمة بالهيئة المدنية ذاتها لانها لا تستطيع نجاحاً ولا دواماً طويلاً اذا لم تعطِ المقام اللازم للديانة التي هي القاعدة السامية والعلمة العظيمة في مسائل حقوق الانسان وواجباته

ولهذا ما كف الاحبار الرومانيون كلما اقتضت الاحوال والازمنة عن تفنيد وتخطئة قول القائلين بفصل الكنيسة عن الحكومة . وخصوصاً سالفنا المجيد لاون الثالث عشر فانهُ اعرب في فرص كثيرة بعبارات جزلة عن العلائق التي ينبغي ان تقوم بين الهيأتين تبعاً للتعليم الكاثوليكي ومن كلامه قوله :

« يجب ان يكون بين الاثنتين اتحاد وثيق يصح ان يشبَّه بالاتحاد القائم في الانسان بين النفس والجسد » وقال ايضاً : « ان الهيئات البشرية ترتكب اثماً عظيماً اذا سلكت كأنَّ الله غير موجود او رفضت الاهتمام بالديانة بمثابة كونها امرًا غريباً عنها او انهُ لا يصلح لمنفعتها . . . اما الكنيسة التي اسسها الله بذاتهِ فان ابعادها عن الحياة العملية عند الامم وعن الشرائع وتهذيب الناشئة والهيأة العائلية هو غرور عظيم موبق » (في الرسالة العامة Immortale Dei بتاريخ ١ ت ٢ سنة ١٨٨٥)

واذا كانت كل حكومة مسيحية ايَّ كانت تأتي عملاً مشؤوماً ومذموماً للغاية بانفصالها عن الكنيسة فكم ينبغي ان نأسف لتورط فرنسة في هذا السبيل الذي كان يجب عليها اكثر من كل امة ان لا تسلكهُ لا سيما وان الكرسي الرسولي خص فرنسة في كل الازمنة بتفضيل عظيم ممتاز وكان نجاحها ومجدها مرتبطين في

جميع الاحوال بممارسة الآداب المسيحية واحترام الديانة ومن ثم فقد اصاب لاون الثالث عشر لما قال : « ان فرنسة لا يتأتى لها الذهول عن ان المقام الخاص الذي انزلتها فيه العناية الالهية قد ربطها بالكرسي الرسولي بروابط وثيقة جداً وقديمة كثيراً حتى انها لتخطأ كل الخطايا اذا سعت لتقطيعها . فمن هذا الاتحاد ربحت الظلمة الحقيقية . والمجد الخالص . . . فتكديره هو بمثابة تجريد الامة من قسم من قوتها الادبية ومقامها العالي في العالم » (في خطابه للزوار الافرنسيين بتاريخ ١٣ نيسان سنة ١٨٨٨)

ثم ان الروابط التي شددت هذا الاتحاد كان ينبغي ان تكون معزّزة ومحترمة طبقاً للالزام المُلقَم بحفظه في المعاهدات فان الاتفاق المبرم بين الحبر الاعظم والحكومة الافرنسية قد كان اتفاقاً متبادلاً ملزماً لكل من المتعاقدين كما هي الحال في سائر المعاهدات من جنسه التي تعقدها الحكومات مع بعضها . وفيه تعهّد الحبر الاعظم من جهة ورئيس الحكومة الافرنسية من جهة اخرى تعهداً صحيحاً شرعياً عنهما وعمن يخلفهما بالمحافظة على العقد الذي وقّعاه ومقتضى ذلك ان اساس الاتفاق المذكور كان كاساس غيره من المعاهدات الدولية اعني حقوق الامم فلا سبيل الى ابطاله بعمل احد الفريقين المتعاقدين دون الفريق الآخر . وقد حافظ الكرسي الرسولي دائماً بغاية الدقة على التعهدات التي امضاها وكان في كل الاوقات يطلب من الحكومة ان تحافظ عليها بامانة كمحافظته لها . وهذه حقيقة لا ينكرها كل من نظر فيها نظراً خالياً من الغرض

والحال ان الحكومة ابطلت اليوم بسلطتها الخاصة العقد الشرعي الذي وقّعته وهكذا خالفت اليمين التي حلفتها . ورغبةً في قطع العلائق مع الكنيسة والتخلص من صداقتها ما ادخرت شيئاً وما ترددت عن ان تسدّد الى الكرسي الرسولي الاهانة الناتجة عن نقض العهد كما انها زعزعت النظام الاجتماعي والسياسي نفسه لان الامم لا يفيدها شيء في صيانة علائقها المتبادلة مثل المحافظة غير

المنغصة على مـا للمعاهدات من الاحترام المقـدس

ثم ان عظمة الاهانة اللاحقة بالكرسي الرسولي من جراء نقض الاتفاق من جانب واحد تزداد ايضاً — على شكل غريب — لدى التأمل في الوجه الذي اتخذته الحكومـة لاجراء هذا النقض. فمن المبادئ المسلمة دون مناقشة في حقوق الامم والمرعية عند كل الشعوب اجمالاً ان فسخ كل معاهدة يجب تبليغه مقدماً بطريقة قانونية واضحة صريحة من الفريق الراغب في الفسخ الى الفريق الثاني المتعاهـد. غير انهُ ليس فقط لم يجرِ ادنى تبليغ من هذا الجنس الى الكرسي الرسولي بـل ايضاً لم يُعطَ اقل اشارة بهذا الصدد. فالحكومة الافرنسية اذاً ما احجمت عن الاخلال — لجهة الكرسي الرسولي — بواجب الرعاية الاعتيـادية وفروض اللياقة التي لا تتأخر عنها حكومة حتى في علائقها مع اصغر الممالك. ثم ان متولي ازمـة الاحكام مع انهم يثاون امة كاثوليكية ما خشوا من ان يعاملوا بالازدراء مقام وسلطة الحبر الروماني رئيس الكنيسة الاسمى في حين انهُ كان يجب عليهم ان يحترموا هذه السلطة اكثر من سائر السلطات السياسية لاسيما وان مرماها من جهة الى خير النفوس الابدي ومن جهة اخرى هي منتشرة من غير حد في كل مكان

والآن اذا امعنا النظر في القانون المعلن وجدنا سبباً جديداً للشكوى بقوة ازيد واعظم اذ ان الحكومة لما فسخت روابط الاتفـاق وانفصلت عن الكنيسة كان الواجب عليها طبعاً ان تترك للكنيسة استقلالها وتدعها تتمتع بسلام بالحق العام في الحرية التي زعمت انها خولتها اياها. ولكنهُ لم يجرِ شيء من ذلك على الاطـلاق لان القانون يتضمن تدابير عديدة استثنائية تجعـل الكنيسة بتقييداتها المكروهة تحت ولاية السلطة المدنية. اما نحن فقد نالنا حزن شديد من اعتداء الحكومـة على شؤون هي من وظيفة السلطـة الكنائسية دون غيرها ولهذا نتمتم كثيراً لان الحكومة لما تغافلت عن مواجب الحق والعدالة جعلت كنيسة فرنسة في موقف حرج ومتعب واعتسافي لاقدس حقوقها

حقاً ان مقررات القانون الجديد هي مضادة للترتيب الذي بمقتضاه تأسست الكنيسة من يسوع المسيح فان الكتاب المقدس يعلمنا وتسليمات الآباء تؤكد لنا ان الكنيسة هي جسد المسيح السري الذي يتولى تدبيره الرعاة والمعلمون (افسس ٤ : ١١ وما يليه) — فهي اذاً هيأة من البشر فيها رؤساء لهم سلطة تامة كاملة على التدبير والتعليم والحكم (متى ٢٨ : ١٨ — ٢٠ و١٦ : ١٨ — ١٩ و١٨ : ١٧ طيطوس ٢ : ١٥ و٢ كورنتس ١٠ : ٦ و١٣ : ١٠ الخ) والناتج عن ذلك ان هذه الكنيسة هي من ذات جوهرها هيأة غير متساوية اي انها هيأة تشتمل على صنفين من الاشخاص وهم الرعاة والقطيع او متولو المقامات في الدرجات المختلفة الكنائسية وجماعة المسيحيين. وهذان الصنفان متميزان كل التميز عن بعضهما وليس الا للرعاة وحدهم الحق والسلطة الضرورية لتدبير وتوجيه كل الاعضاء الى غاية الهيأة. اما الجماعة فليس عليها سوى الانقياد والجري وراء الرعاة كالقطيع المطيع — وقد شرح القديس قبريانوس الشهيد هذه الحقيقة شرحاً عجيباً بقوله: « ان ربنا الذي يجب علينا ان نكرم وصاياه ونحفظها لما وضع نظاماً للدرجة الاسقفية وترتيباً لكيان كنيسته قال في الانجيل مخاطباً بطرس : لك اقول انك انت الصفاة . . . الخ . وبناء على ذلك ففي تقلبات الازمان والحوادث ما برحنا نشاهد الهيأة الاسقفية والهيأة الكنائسية جاريتين على هذا الوجه بان كانت الكنيسة مستندة الى الاساقفة وان كل عمل في الكنيسة يتم على يدهم ». ويؤكد القديس قبريانوس ان هذا كله « مبني على شرع الهي » . فخلافاً لهذه المبادئ يعهد قانون الانفصال بادارة ووكالة العبادة العمومية لا الى الهيأة الاسقفية المقامة بنوع الهي من المخلص بل الى جمعية من العلمانيين تولها بمنزلة هيئة وشخصية شرعيتين بحيث يعتبرها في كل ما يتعلق بالعبادة الدينية كأنها هي وحدها صاحبة الحقوق المدنية والمسؤولة تجاهه. وعليه فالى هذه الجمعية يعود استعمال الهياكل والابنية المقدسة. وهي التي ستملك كل المقتنيات الكنائسية منقولة وغير منقولة . وهي التي تدير — ولو الى حين — الدور الاسقفية والحورنية والمدارس الاكليريكية. وهي

التي تتولى اخيراً ادارة الموجودات وتضع قانوناً لجمع الحسنات وتقبل الصدقات والاوقاف المخصصة بالعبادة الدينية. واما الرعاة فقد سكت عنهم هذا القانون سكوتاً مطلقاً. واذا كان يأمر بان الجمعيات المذهبية يجب ان تؤلف طبقاً لقواعد المذهب المقصود تأمين ممارسته فقد صرح من وجه آخر ان جميع ما يحدث من الاختلافات المتعلقة بمقتنياتها لا يحق النظر فيه الا لمجلس الشورى وحده. ومن ثم تكون هذه الجمعيات المذهبية تابعة للسلطة المدنية دون ان تكون للسلطة الكنائسية ادنى ولاية عليها. وهذه التدابير كلها هي جارحة جداً للكنيسة ومضادة لحقوقها وترتيبها الالهي وما من احد الا ويرى ذلك لاول وهلة. هذا مع قطع النظر عن ان القانون التي في هذه المسألة بالفاظ غير صريحة وخالية من الدقة فهي تحتمل التأويل والتخريج على الهوى ولذلك يُخشى ان ينبت عن تأويلها شرور اعظم

وزد على ذلك ان هذا القانون لا شيء اعظم مضادةً منهُ لحرية الكنيسة — فاذا كان بسبب كيان الجمعيات المذهبية يمنع الرعاة عن مباشرة ملء سلطتهم ومهمتهم على الشعب المسيحي. واذا كان يخوّل الولاية السامية على هذه الجمعيات الى مجلس الشورى ويوجب عليها الخضوع لاوامر كثيرة خارجة عن الحق العام ويجعل تأسيسها صعباً وبقاءها اصعب. واذا كان بعد ان نادى بحرية المذهب قام يضيّق على مباشرته بقيود متعددة. واذا كان يجرّد الكنيسة من الحراسة الداخية في الهياكل ليقيم الحكومة في مقامها. واذا كان يضع الموانع دون كرازة الايمان والادب الكاثوليكيَّين ويوجب على الاكليريكيين نظاماً قاسياً استثنائياً. واذا كان يصدق هذه المقررات وغيرها من المقررات الشبيهة بها التي يمكن ان يتحكم فيها الهوى على ما يشاء. فماذا يكون قد صنع سوى انهُ انزل الكنيسة في منزلة من الخضوع مذلّة وانتزع بحجة المحافظة على النظام العام من الوطنيين المسالمين الذين يؤلفون السواد الاعظم من الشعب الافرنسي حقهم المقدس بمزاولة امور ديانتهم ؟ هذا وان الحكومة لم تكن لتجرح الكنيسة فقط بتضييقها على ممارسة العبادة التي حصر فيها بالغلط قانون الانفصال

جوهرَ الديانة بل تجرحهـا ايضاً باقامة الحواجز دون تأثيرهـا النافع على الشعب وبعرقلة اعمالها على الوف من الانواع والطرق من جملتهـا انها لم تكتف بان تنتزع من الكنيسة الجمعيات الرهبانية التي هي اعظم عون لها على وظيفتها المقدسة والتعليم والتربية واعمال الرحمة المسيحيـة بل حرمتها ايضاً الموارد التي تتألف منها الوسائل البشرية الضرورية لكيانها وتتميم مهمتها

وخلا الاضرار والاهانات التي سبق تعدادها حتى الآن نرى ان قانون الانفصال ينقض ايضـاً حق ملكية الكنيسة ويدوسه دوساً . فانهُ خلافاً لكل عدل يجرد الكنيسة من جزء مهـم من الاملاك التي تخصها بحجج عديدة ومقدسة اذ انهُ يبطل ويلاشي كل المؤسسات التقوية المكرسة بنوع شرعي للعبادة الالهية او للصلاة من اجل الموتى . واما المعينات التي جاد بها السخاء الكاثوليكي لقيام المدارس المسيحية او لغير ذلك من الاعمال الخيرية المذهبية فقد حولها هذا القانون الى مؤسسات عالية يمتنع على الباحث في اغلبها ان يجد ادنى اثر للديانة . وفي هذه المسألة لا يقتصر القانون على نقض حقوق الكنيسة ولكنهُ يتجاوز ايضاً الى نقض الارادة الشرعيـة الصريحة التي للواهبين والواقفين — ومما يغثنا بنوع زائـد ان هذا القانون مع ازدرائهِ بكل الحقوق يُلحق باملاك الحكومة او الايالات او القصبات جميعَ المباني الكنائسية التي سبقت عهد الاتفاق . واذا كان يسمح للجمعيات المذهبية باستخدامها مجاناً لأجل غير معين فيقيد هذا السماح بقيود كثيرة حتى انهُ يترك لاوليا. الاحكام حرية التصرف بها — ومن ثم فاننا نخشى كل الخشية على قداسة هذه الهياكل والبيوت المكرمـة التي تحلّ فيها العظمة الالهيـة والاماكن العزيزة كثيرًا على الشعب الافرنسي بسبب تذكاراتها القديمة لانهـا في الحقيقة اصبحت معرَّضة لخطر التـدنيس اذا ما تسلمت لايدي العالميين

ثم ان القانون لمـا الغى ميزانية المذاهب وخفف عن الحكومة التزامها بتدارك النفقات المذهبية نقض تعهـداً مبرماً في اتفاق سياسي وجرح العدالة جرحاً بليغـاً .

ولا يمكن ابداء ادنى ريب في هذه المسألة لان المعلومات التاريخية عينها تشهد عليه شهادة لا أصرح منها. فاذا كانت الحكومة الافرنسية قد تكفلت في الاتفاق بان تؤمن لاعضاء الاكليروس راتبا يأذن لهم بان يتداركوا على نوع لائق لوازمهم ولوازم العبادة الدينية فانها لم تفعل شيئاً من ذلك على صفة هبة مجانية وانما تعهدت به على صفة تعويض جزئي عن الاملاك التي كانت قد وضعت عليها اليد اثناء الثورة الاولى. ثم ان الحبر الروماني من جهة اخرى لما تعهد في نفس هذا الاتفاق حباً بالسلام باسمه وباسم خلفائه انهُ لا يعود الى ازعاج القابضين على هذه الاملاك التي نُزعت من يد الكنيسة ما وعد هذا الوعد الّا على شرط ان الحكومة الافرنسية تتعهد الى الدوام بدفع رواتب للاكليروس تكفي لمعاشهم بنوع لائق ولتداركِ لوازم العبادة الدينية

فكيف نستطيع اذًا السكوت على هذه المسألة ؟ فان القانون الجديد خلا كونه جارحاً لمرافق الكنيسة سيكون اشد الاشياء شؤماً على بلادكم. ولا ريب انهُ سيقوّض بنوع يرثى لهُ اتحاد النفوس وائتلافها. ومن المعلوم انهُ بدون هذا الاتحاد وبدون هذا الائتلاف لا يمكن لأُمة ان تعيش او تنجح. ولهذا السبب كان الائتلاف التام وخصوصاً في موقف اوربة الحاضر أَثمر امنيَّةً مرغوبة بجامع القلب من كل الذين في فرنسة يحبون بلادهم محبة حقيقية و يهتمون بنجاة وطنهم. اما نحن فاننا على مثال سالفنا الذي اورثنا محبته التفضيلية الخاصة لأُمتكم فقد اجتهدنا كل الاجتهاد في توطيد ديانة اجدادكم حتى تظل متمتعة بامتلاك كل حقوقها بينكم غير اننا في الوقت نفسه لأكنا قد وضعنا على الدوام نصبَ اعيننا هذا السلام الاخوي الذي لا رباط لهُ في الحقيقة اوثق من الديانة بذلنا كل السعي لاجل تثبيتكم جميعاً في الاتحاد. ولذلك لا نستطيع ان نشاهد دون غمٍّ شديد العمل الذي ائتهُ الحكومة الافرنسية لانهُ يؤجج سعير الاهواء الهائجة من قبل في مسائل الديانة لقصد مشؤوم ربما ادى الى انقلاب بلادكم من اولها الى آخرها

فبناء على واجبات مقامنا الرسولي والفرض الثقيل الذي يأمرنا بقوة السلطة

السامية التي خولناها الله تعالى بالمدافعة عن حقوق الكنيسة الراهنة المقدسة ضد كل هجمة وبالمحافظة على سلامتها المطلقة نرذل للاسباب التي سبق تعدادها ونقضي على القانون المقترع عليه في فرنسة بشان فصل الكنيسة عن الحكومة لانهُ مهين اهانة عظيمة لله تعالى بسبب انهُ ينكره انكاراً رسمياً متخذاً كمبدإ ان الحكومة لا تعترف بمذهب خاص . نرذلهُ ونقضي عليهِ لانهُ ناقض للحق الطبيعي اي حق الامم والامانة السمومية الواجبة للمعاهدات . لانهُ مضاد لترتيب الكنيسة الالهي ولحقوقها الجوهرية ولحريتها . لانهُ هادم للعدل ودانس حقوق الملكية التي اكتسبتها الكنيسة بحجج وغيرة . ثم اننا ايضاً بقوة الاتفاق نرذلهُ ونقضي عليهِ لانهُ مهين اهانة عظيمة لمقام هذا الكرسي الرسولي ولشخصنا وللهيأة الاسقفية وللاكليروس ولجميع الكاثوليك الافرنسيين . ومن ثم نحتج احتجاجاً شرعياً بكل ما عندنا من القوة ضد اقتراح هذا القانون وضد الاقتراع عليهِ وضد اذاعته معلنين انهُ لا يصلح ان يكون حجةً لايهان الحقوق الثابتة الراهنة التي للكنيسة

وقد دعانا الواجب لاسماع هذه الكلمات الثقيلة وتوجيهها ايها الاخوة المحترمون اليكم والى شعب فرنسة والى العالم الكاثوليكي كلهِ تبليغاً لما قد يجري . حقاً ان حزننا لعظيم كما تقدم القول عند ما نتيس سلفاً بمصرنا مبلغ الشرور التي سيطلق هذا القانون عنانها على شعب لهُ عندنا اعظم اعزاز ومحبة . واننا لنتأثر ايضاً تأثرًا ما عليهِ مزيد لدى افتكارنا بالمشقات والضيقات والشدائد المختلفة الانواع التي ستنقض عليكم ايضاً ايها الاخوة المحترمون وعلى اكليروسكم بجملتهِ . غير اننا رغبة في الاحتراز من كل حزن مفرط ومن كل فشل ما . بين الهموم الثقيلة علينا ان نتذكر عناية المولى قد كانت في كل وقت معدن رحمة ورافة . علينا ان نتذكر الرجاء الذي تحقق الوف مرات وهو ان يسوع المسيح لا يترك ابداً كنيسته ولا يحرمها عنده الخالد . وعليهِ فنحن ابعد من ان نستشعر ادنى خشية على هذه الكنيسة فان قوتها الهية مثل دوامها الذي لا يتزعزع كما قد اوضحت ذلك التجارب ايضاحاً شافياً في كرور الاعصار . فحقاً

انهُ ما من احد يجهل النكبات العديدة التي انقضَّت عليها في كل هذه المدة الطويلة وكان بعضها اهول من بعض

غير انها استقت من المحن قوة اشد ونماء أغزر ولو حلت محلها جمعية بشرية خالصة لتقوَّضت بالضرورة ولم تقوَ على الثبات. اما شرائع الاضطهاد الموجهة عليها منسوجةً بايدي الحاقدين فانها تنتهي في كل حال بالنقض عندما يتضح الضرر الناجم عنها للحكومات — هكذا يشهد التاريخ وهكذا في الازمنة القريبة منا تشهد فرنسة عينها — فعسى ان ضابطي ازمة الأمور حالاً في فرنسة يقتفون قريباً مثل الذين تقدموهم. عساهم ان لا يتأخروا عن ان يعيدوا للديانة التي هي منبع تمدن الشعوب ونجاحها ما يحق لها من الحرية والشرف فيفرحون بذلك كل اصحاب الصلاح في الدنيا . وما دام هذا الاضطهاد الاعتسافي يجب على أبنا. الكنيسة «ان يلبسوا اسلحة النور (رومية ١٣: ١٢) عاملين بكل مقدرتهم من اجل انتصار الحقيقة والعدل . لان ذلك فرض واجب عليهم في كل حال بل هو الغرض المطلوب منهم اليوم اكثر من كل وقت

وبما انكم مطالبون ايها الاخوة المحترمون بان تكونوا في هذا الجهاد المقدس قادةً ومعلمين للبقية فعليكم ان تظهروا من الهمة واليقظة التي لا تكل ما قد طالما عُرف به الاساقفة الافرنسيون في جميع الازمنة وعززوه بادلة كثيرة توجب وافر الثنا. عليهم. غير اننا نريد قبل كل شي. ان تسعوا في جميع ما تباشرونه من الاعمال للدفاع عن الكنيسة الى تأييد الاتحاد التام في القلوب والارادات لان ذلك امر في نهاية الاهمية — ونحن عازمون كل العزم على ان نوجه اليكم في الزمان الملائم تعليمات عملية حتى تتخذوها قاعدة لسلوككم في مشا كل الساعة الحاضرة. ونحن موقنون سلفاً بانكم تمتثلونها بغاية الامانة والدقة — ومع هذا فواصلوا العمل الخلاصي الذي تعملونه . انعشوا ما استطعتم روح التقوى بين الكاثوليكيين. اسعوا في نشر تعليم العقائد المسيحية. حافظوا على النفوس المسلمة اليكم من الغوايات والضلالات التي تلاقيها

في كل جانب وجهة . علموا قطيعكم وحذروه وشجعوه وعزّوه . اوفوا لهُ بكل الواجبات التي تفرضها عليكم وظيفتكم الرعائية . ولا ريب ان اكليروسكم يكون لكم في هذه المهمة عوناً لا يُكلّ اذ قد توفّر بينه المتازون بتقواهم وعلمهم وتعلقهم بالكرسي الرسولي . ونحن نعلم انهُ متأهب دائماً حتى يبذل النفس تحت ادارتكم في ما يعود على الكنيسة بالانتصار وعلى القريب بالخلاص الابدي — ومن الثابت ايضاً ان اعضاء الاكليروس المرقوم يعلمون انهُ يجب عليهم في ثوران هذه الزوبعة ان تختلج في افئدتهم تلك العواطف التي اختلجت قبلًا في صدور الرسل فيفرحون لانهم حسبوا مستأهلين للاهانة من اجل اسم يسوع (اعمال ٥ : ٤١) ويطالبون من غير وجل بحقوق الكنيسة وحريتها ولكن دون ان يسيئوا الى احد . ولما كانوا حريصين على حفظ المحبة كما يجب خاصةً على خدام يسوع المسيح فهم يقابلون الظلم بالعدل والاهانة بالحلاوة والمعاملة السيئة بالاحسان

وفي الختام نوجه الخطاب اليكم ايها الكاثوليك الافرنسيون . فلتصل كلمتنا اليكم جميعاً ولتكن كشهادة على انعطافنا الصميم وحبنا الخالص لبلادكم وكمنشط ومعزّ في النكبات الهائلة التي ستجوزونها . انكم تعلمون الغاية المقصودة من الشيع الطاغية التي تحني رؤوسكم تحت نيرها لانها هي التي نادت بها على رؤوس الاشهاد بكل قحة قائلة انها « تريد استئصال الكثلكة » من فرنسة . فهي تبتغي اذًا ان تنزع من قلوبكم اصول الايمان الذي أضفى على آبائكم اردية المجد . الذي انجح بلادكم وعظمها بين الامم . الذي يعضدكم في المحنة . الذي يولد اركان السلام والراحة في حياتكم . الذي يفتح لكم الطريق الى السعادة الابدية . فانتم تعلمون بانهُ يتحتم عليكم الدفاع عن هذا الايمان بكل قواكم ولكن حذار من الغرور لان كل نصب وسعي لا يأتيان بجدوى اذا هببتم لدفع الغارات دون ان تكونوا متحدين اتحادًا قوياً مكيناً . فاقتلوا اذًا زوان الاختلاف ان وجد منهُ شيء بينكم . أجروا كل ما ينبغي حتى يظل اتحادكم بالفكر والعمل ثابتاً وطيدًا كما يجب

ان يكون بين رجال يجاهدون لغاية واحدة لاسيما متى كانت هذه الغاية من جنس الغايات التي يتحتم على كل احد ان يضحي لاجل نصرتها شيئاً من آرائه الذاتية — فاذا شئتم ان تنقذوا ديانة اجدادكم من المخاطر التي تتصدى لها عاملين بحسب طاقتكم اجابةً للواجب المفروض تحتم عليكم ضرورةً ان لا تدخروا شيئاً من الاقدام والحمية . وفي يقيننا انكم لا تعدمون هذه الحمية وبقدر ما تبدون من الغيرة على خدام الله تعطفون الله على ابداء مزيد غيرة عليكم

اما الدفاع عن الديانة فاذا شئتم ان تباشروه على ما يليق بها وتواظبوا عليه غير زائفين لتحصل منهُ جدوى ونتيجة فيجب لهُ قبل كل شيء امران اولهما ان تأتمروا بكل دقة باوامر الشريعة المسيحية حتى تكون اعمالكم وبقية عيشتكم عائدة بالشرف على الديانة التي تدينون بها . والثاني ان تظلوا مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بمن هم مكلفون خاصةً في هذه الارض بالسهر على الديانة اي مع كهنتكم واساقفتكم وخاصة مع الكرسي الرسولي الذي هو قطب الايمان الكاثوليكي وكل ما يمكن عمله باسمهِ . واذا ما تسلحتم للجهاد على الوجه المذكور فسيروا دون خوف للدفاع عن الكنيسة ولكن اهتموا بالقاء اتكالكم على الله الذي تدافعون عن سبيله — وحتى تكونوا على ثقة من عونهِ التجئوا اليهِ دائماً ولا تكلوا — اما نحن فاننا نكون معكم قلباً ونفساً ما دمتم مجاهدين في مقاومة الخطر وكل ما تعانونه من اتعاب ومشقات واوجاع فاننا نقاسمكم اياه ومع ابتهالاتنا الخاشعة والحارة لله تعالى مؤسس الكنيسة وحافظها نسألهُ جل جلاله ان ينظر الى فرنسة نظر الرحمة وينتشلها من الامواج الهائجة عليها ويعيد اليها قريبًا السلام والسكينة بشفاعة الطاهرة من الادناس مريم . وكفأل على هذه الحسنات السماوية وشهادة على ما لكم عندنا من الميزة الخاصة نمنحكم من صميم الفؤاد بركتنا الرسولية لكم ايها الاخوة المحترمون ولاكليروسكم وللشعب الافرنسي اجمعه

أعطي في رومية بجانب القديس بطرس في ١١ شباط من سنة ١٩٠٦ وهي الثالثة لحبريتنا

البابا بيوس العاشر

(نقلًا عن البشير)

اكتشاف كُلَف الشمس

نظر للاب بطرس دي قراجيل اليسوعيّ

كُلَف الشمس بُقَع سوداء تُرى على سطحها بالنظّارات الرصديّة . وقد خطت الدروس الشمسيّة باكتشافها خطوةً كبيرة ومذ ذاك ترى الفلكيين يبنون عليها عدّة ابحاث ويستنتجون من خواصّها النتائج المهمّة لوصف الشمس وتعريف احوالها . لا سيّما دورانها على قطبها . ولكن من هو يا ترى الذي سبق بين العلماء الى هذا الاكتشاف المهمّ . فان تصفّحت كتب المِهنة رأيت المؤلفين لا يتّفقون في ذلك فالبعض ينسبونهُ الى لِلر ومنهم الى غليلاي وغيرهم الى غيرهما وفي بحثنا هذا ما نراهُ اقرب الى الحقيقة . ومنهُ يتّضح كما سترى ان الفضل في هذا الاكتشاف يعود الى اكثر من واحد . فيصحّ من ثمَّ فيهِ ما قيل في غيرهِ « انهُ يلوح بالاختبار انَّ بعض الاختراعات اكتشفها اشخاص مختلفون في امكنة متباينة دون اتّفاق سابق بينهم » (١

اوّل من تنبّه الى كُلَف الشمس هو الفلكيّ الشهير حنّا كبلر (١٥٧١—١٦٣٠) فانهُ بينما كان يرصد في ٢٨ ايار من السنة ١٦٠٧ جرم الشمس وذلك قبل اختراع النظّارة الفلكيّة لحظ كُلفةً على سطحها وعاين حركتها لكنَّهُ ظنَّها جسماً ممتازًا عنها وارتأى انَّ تلك البقعة انّما هي سيّارة عطارد التي لم يعرفها اهل ذلك العصر حقَّ المعرفة . وبعد ذلك بسنتين نشر كبلر كتابهُ العجيب في الجاذبيّة العامّة المعنون بعلم الفلكيّات الجديد (٢ . وفيهِ سنَّ قواعد الجاذبيّة التي نُسبت لهُ وشرح ما يختص بثقل الاجرام وجاذبيّتها لكنَّهُ توقّف عن القول بانَّ حركة السيّارات حول الشمس من مفاعيل الثقل . وكان ينسب هذا الدوران لقوّة مغناطيسيّة في الشمس ولا سيّما لدوران الشمس حول قطبها . وهذا لعمري من اكتشافات نوابغ العقول انهُ افترض دوران الشمس على محورها قبل ان يثبت الامر باكتشاف كُلَفها

---

١) اطلب ترجمة الفيلسوف ديكرت (Baillet: *Vie de Descartes*, II.544)

٢) وهذا اسمهُ باللاتينيّة Astronomia nova { αἰτιολόγητος } s. physica cœlestis tradita commentariis de motibus stellæ Martis (Pragæ)

لكنَّ كپلر بقي متذبذباً متردّداً في رأيه وفي تآليفه التي ابرزها بعد ذلك يضرب الصفح عن دوران الشمس حول قطبها وينسب دوران السيارات الى القوّة المغنطيسيّة وحدها وذلك في كتابيه اللذين طبعا سنة ١٦١٨ و ١٦١٩ وهما مختصر المذهب الكوپرنكي في الافلاك (Epitome astronomiæ Copernicæ) والكتب الخمسة في ايقاع العالم (Harmonices mundi Libri V)

وقد رصد بعد كپلر غيرهُ من معاصريه كُلَف الشمس لكنَّهم لم يعرفوا حقيقتها فمنهم من ظنَّها مثلهُ سيّارة عطارد ومنهم من اتى بشروح غريبة لاطائل تحتها (١

امَّا العالمان اللذان استحقّا في اكتشاف كُلَف الشمس ثناء خاصّاً وكلاهما مبرّز في العلوم الفلكيّة فهما غليلاي وشَينر. وقد عرَّف المستشرق في عدد سابق (٩ : ١٨٠) غليلاي ومكانتهُ السامية في العلم . امَّا شَينر فهو الاب خرسطوف شَينر (١٥٧٥—١٦٥٠) وكان يسوعيًّا ومعلّماً في كليّة انگلستادت ومواظبًا للعلّامة كپلر . قد اشتهر في العلوم الرياضيّة والطبيعيّة وألَّف عدَّة تآليف في البصريّات يعدُّها العلماء كوصلة بين تآليف كپلر وغليلاي

واذ كان الاب شَينر يوماً من ايّام آذار من السنة ١٦١١ رقي الى برج كنيسة انگلستادت مع احد اخوته الرهبان الاب يوحنَّا لِيزات (١٥٨٨—١٦٥٧) الشهير بمثلهُ بمصنَّفاته واكتشافاته الفلكيّة واخذ كلاهما يرصد الشمس بالنظّارة فلحظا على وجه الشمس كلفًا لم يعيراها بالًا ونسباها الى بعض الطوارئ العرضيّة . الّا انَّ الاب شَينر فكَّر بعد ذلك في هذا الامر وجعل يحسّن نظّارتهُ لعلَّهُ يتمكّن من تعليل هذه الظاهرة ولم يكن في يده اذ ذاك غير النظّارة المعروفة بالهولنديّة التي كانت تتركّب من شبحيّة محدّبة وزجاجة مقعّرة ومن خلال هذه النظّارة انَّهما لم تسمح برصد قسم كافٍ من الشمس لانَّ نور الشمس الباهر كان يحول دون ذلك . فبحث الاب عن طريقة تمكّنهُ من استدراك الامر فلم يزل يبحث حتى اهتدى الى وسيلة فعّالة كان اشار اليها من قبلهِ بسبعين سنة احد الفلكيين وهو ابيان (Apian) في كتابهِ «الفلكيّات القيصريّة» المطبوع في انگلستادت سنة ١٥٤٠ وهي اتخاذ زجاجات ملوَّنة لتلطيف

---

١) راجع Scheiner: *Rosa Ursina*, 609; Montucla: *Hist. des Math.*, III

اشعّة الشمس وكان اهمال استعمالها اكبر سبب لعمى غليلاي اذ اكثر من النظر الى الشمس دون ان يقي عيونهُ من شدّة نورها فقد آخرًا بصرهُ (١ . امّا الاب شينر فانهُ بلغ هذا الاكتشاف غاية كمالهِ فصبغ اوّلًا عدسيّات نظّارتهِ بالالوان فلم يطبق المفصل فجرّب اتّخاذ الزجاجات الملوّنة بالازرق فجعلها في وسط العدسيات فاصاب بذلك الحزّ وسلك الفلكيّون على هديهِ من بعدهِ

ولما كان الشهر تشرين الاوّل من السنة عينها وجّه شينر نظّارتهُ المجهّزة بالزجاجات الزرق الى الشمس فباين ثانيةً كلف الشمس بأجلى طريقة وتحقّق الامر واراهُ كثيرين من الآباء اليسوعيين فتأكّدوهُ مثلهُ . فعزم على ان يعرض اكتشافهُ على رئيسهِ الاقليميّ الاب ثاودورس بوزاي فخاف هذا ان يعرّض مرؤوسهِ الى السخريّة اذا ما نشر اكتشافهُ على اسمهِ وحضّهُ على إهمال الفكرة والتروّي في اعلان امرٍ كان يُعَدُّ في ذلك الوقت غريباً مخالفًا لتعاليم الفلاسفة الارسطوطاليين . وقد اخبر الاب شينر بما جرى لهُ مع رئيسهِ يروي هنا تعريبهُ بالحرف ردًّا على بعض اقاويل المرجفين الذين نسبوا الى هذا الرئيس الجهل والضغط على مرؤوسيهِ . قال شينر : « ولما اخبرت رؤساني باكتشافي لكلف الشمس ارتأوا انهُ ينبغي لي ان اجري باحتراز خطوةً خطوةً الى أن تتحقّق هذه المشاهد التي رأيتُها باختبار غيري فلا احيد عن مناهج الفلاسفة المطروقة الّا بعد ظهور الحقيقة (٢ »

وهذه المشورة الابويّة من رئيس الاب شينر قد مسخها بعض الكتبة فعرضوها على طريقة مضحكة كما فعل فان ديك في كتابهِ اصول علم الهيئة وزاد على هزئهِ بالرئيس طعنًا في كنيسة رومية ردَّ عليهِ المشرق في عدد سابق (١٧٨—١٨٥) قال (ص٨٨) :

«القدماء اعتقدوا بصفاء الشمس . كان في انكلستاد راهب يسوعيّ اسمهُ شينر فأخبر رئيسهُ ذات يوم بأنهُ ناظرٌ كلفةً على سطح الشمس . فاجابهُ الرئيس : اني قد قرأت مصنّفات ارسطليس من اوّلها الى آخرها ولم يذكر شيئًا مما تقولهُ . اذهب يا ابني وريّح فكرك

١) هذا ما رواهُ دي همبلد Humboldt: (Cosmos, III. 383)

٢) وهذا قولهُ كما دوّنهُ (Rosa Ursina, I, ch. 2) في اصلهِ اللاتيني: « Censuerunt Superiores mei, procedendum esse caute et pedetentim, donec phœnomenum, ipsa aliorum quoque experientia accedente, corroboraretur, neque a tritis philosophorum semitis sine evidentia contrariis recedendum. »

وتأكد انَّ ما تحسبهُ كُلَفاً على الشمس انَّما هي كُلَف الزجاجات او كُلَف في عينيك . فالتزم شينر ان يجتني فكرهُ ولمَّا اشهرهُ اشهرهُ تحت اسم آخر خوفاً من اضطهاد كنيسة رومية المعصومة من الغلط (كذا) التي اضطهدت الى قرب الموت الفيلسوف غاليليو لاعتقاده بدوران الارض وثبوت الشمس اي المذهب الكوبرنكي (كذا) »

فما كان أحرى بقان ديك ان يصون قلمهُ من هذه المثالب ويكتم بغضهُ لكنيسة رومية التي دعاها المؤلفون البروتستانت انفسهم « حارسة العلوم وناشرة الآداب »

فلنعودنَّ الى الاب شينر . فانهُ عملاً بمشورة رئيسهِ كتب ثلاث رسائل باسم مستعار (Apelles latens post tabulam) ارسلها الى شيخ بلد اوسبرغ المدعو مرقس ڤلسر (M. Welser) من مشاهير علماء زمانهِ . وكان الكاتب يرتاي في هذه الرسائل التي طُبعت في ١٢ تشرين الثاني وفي ١٩ و ٣٢ كانون الاوَّل من السنة ١٦١١ انَّ هذه الكُلَف امَّا هي في سطح الشمس عينها او هي سيَّارات قريبة جدًّا منها وعلى كلّ حال انَّهُ يستنتج من حركتها دوران الشمس على محورها

وكان الفلكيّ ڤلسر صديقًا لغليلاي فأسرع وأطلعهُ على رسائل الاب شينر . وتاريخ كتابهِ الى العلَّامة الايطالي في ٥ ك ٢ سنة ١٦١٢ واتبع كتابهُ بثلاثة مكاتيب أخرى الى غليلاي في هذا الصدد . وقد نُشرت المكاتبات[1] في تلك السنة ١٦١٢ . اما غليلاي فاجاب على مكاتيب مرقس ڤلسر بثلاث رسائل تاريخها ٤ أيار ثم ١٤ آب ثم ١ ك ١ سنة ١٦١٢ يقول فيها انَّ وجود الكُلَف امر واقعيّ وانَّهُ كان عاينها منذ شهر تشرين الاوَّل سنة ١٦١٠ وانَّ وقوعها في نفس جرم الشمس (١ . وليس لنا ما يثبت صحَّة مدَّعى غليلاي في سبقهِ الى اكتشاف كلف الشمس الَّا هذه الرسائل المنشورة بعد اطّلاعهِ على كتابات الاب شينر . فان صدَقَ غليلاي في قولهِ اذن يكون اتَّفق العالمان على اكتشاف واحد دون تواطؤ (٢

فالاب شينر تثبَّت في رأيهِ لمَّا قرأ ما كتبهُ غليلاي في اجوبتهِ الى مرقس ڤلسر

---

١) وكلّ هذه المكاتبات لمرقس ڤلسر واجوبة غليلاي مطبوعة في مجموع اعمال غليلاي (ج ٣ ص ٣٧٦-٤٥٩) .

٢) جاء في تاريخ الطبيعيّات للعلَّامة برجَنْدُرُف انَّ غليلاي اكتشف كُلَف الشمس وهو استاذ في مدينة پيزة يعلّم الرياضيّات . امَّا غليلاي في رسائلهِ فيزعم انَّهُ وقف على الكُلَف وهو في رومية وانهُ اراها بعض الكرادلة ومنصّبي الكرسي الرسولي

ثم اتفق مع بعض اليسوعيين الفلكيين على رصد كلف الشمس في امكنة شتى نازحة عن بعضها فوكل الى الاب سيزات (Cysat) رصدها في انكلستاد وبعض نواحي المانيـة والى الاب حنا فم الذهب گال (Gall) في لشبونة والى الاب جرج شونبرغر في فورتمبرغ والى الاب يوسف بانكاني في رومة والى الاب كسپار رويس (Ruess) في الهند الغربيَّة والى الاب شرل ملاپرت (Malapert) في بلجكة. وكان الاب شينر يجمع رصودهم ويدونها ويقابل بينها لينظم تقاويمها وهو مع ذلك يشتغل في ابتناء الآلات الرصديَّة لا سيَّما نظَّارتهُ الفلكيَّة التي اصطنعها وفقًا لآراء كبار فجعل زجاجة النظَّارة وشبحيَّتها عدسيتين مقعَّرتين ووسَّع فسحة النظر بحيث يمكن العين رصد الافلاك دون ان تلتصق بالزجاجة. وقد وصف الاب شينر هذه الآلة وصفًا مدقَّقًا في كتابٍ عجيب عن الشمس (Rosa Ursina) اهداهُ الى الامير بولس جردان اورسيني وهو الذي طُبع اوَّلاً سنة ١٦٢٦ ثمَّ جُدِّد طبعهُ سنة ١٦٣٠ ومما يقولهُ هناك انَّهُ بهذه الآلة الرصديَّة امكنهُ ان يُطلع الارشيدوق مكسيليان ثمَّ الامبراطور ماتياس على كلف الشمس قبل ١٣ سنة فينتج من هذا القول انَّ شينر اتمَّ آلتهُ نحو سنة ١٦١٣ او ١٦١٧. قال پوجندرُف (١ انَّ شينر استعان بالنظَّارة الفلكيَّة على احسن طريقة موافقة لدرس كلف الشمس فكان يسحب زجاجة العين اكثر قليلاً مما كان يحتاج اليهِ للنظر الجليّ ثمَّ كان يقوم في غرفة مظلمة ويوجِّه النظَّارة الى الشمس فترتسم صورتها فيما وراء زجاجة العين اما على لوح ابيض واما على ورق مدهون زيتًا. فهذه الصورة وان لم تكن جليَّة تمام الجلاء كما لو عاينها الراصد بالنظَّارة الَّا انَّ رسمها على اللوح اسهل لدرسها ويمكن كثيرين من الحضور ان يروها. وعلى هذه الصورة أطلع الاب شينر الارشيدوق مكسيليان على كلف الشمس. وقد دعا تجهيزهُ هذا للنظَّارة الرصديَّة هليوسكوب (اي راصد الشمس) (٢ وهو اوَّل من اتَّخذ هذه

---

١) اطلب كتابهُ في Poggendorff: *Hist. de la Phys.*, p. 417

٢) والصحيح انَّ الاب شينر اراد باسم هليوسكوب كل آلة موافقة لرصد الشمس كآلتهِ المجهَّزة بالزجاجات الملوَّنة. ولم نجد في كتابهِ انَّهُ دعا باسم هليوسكوب بالحاجز القابل لصورة الشمس

الطريقة العملية لرصد الشمس وان كان كبلر لمّح اليها نظريًا في القضيّة ٨٨ من كتابه المدعو ديوبتريك (Dioptrique) اه (١ »

وغنيٌّ عن القول انّ نظارة الاب شينر مع حسنها في ذلك الوقت لم تبلغ منتهى الكمال لاسيّما ان زجاجاتها لم تحجز الالوان الغريبة عن المنظورات ولم تُصقَل بعدُ صقلًا كافيًا فضلًا عن صغر شبحيّتها. وقد توصّل الى رصود عجيبة رغمًا عن هذه النقائص. وهو اوّل من جعل لشبحيّته حواجز ثمّ انتبه لميل الاشعّة في زجاجة الشبحيّة . واعظم اكتشاف توفّق اليه الاب شينر بواسطة نظّارته تعيين الظواهر الدالّة على دوران الشمس حول محورها منها ميل قطب الشمس بالنسبة الى منطقة البروج ومنها طول عقدة الصعود ومدّة الدوران. وهذه الاكتشافات كلّها لا ينكرها احد على الاب شينر. وما هو اغرب من ذلك انّهُ اثبت في تآليفه تفاصيل أخرى غاية في الدقّة لم يخترع المحدثون شيئًا اضبط منها الى ان وجدوا آخرًا طريقة تحليل الطيف الشمسيّ والتصوير الشمسيّ قال العلّامة ڤينكه (Winecke): « انّ شينر في كتابه الوردة الاورسينية كان دوّن عدّة رصود فلكية لم يُبالِ بها الفلكيّون عمدًا حتى انّ اكتشافاته بقيت مجهولة الى زماننا فعادوا الى اكتشافها ثانيةً (٢ »

ومما سبق الى اكتشافه الاب شينر تنوّرات سطح الشمس وكذلك عرّف قبل المحدثين انّ في الشمس امكنةً مغيمة (veiled spots) وان لم يذكر هذه الاشياء باسمائها الحديثة الّا انّهُ وصفها باوصاف لا تبقي ريبًا في صحّتها لمن يتصفّحها اليوم وبخصوص هذه التغيمات تراهُ قد دوّن ساعة ظهورها واختفائها وهو يبحث عما اذا كانت هذه المظاهر انبساطات ووهدات في جرم الشمس او غير ذلك كما يفعل اليوم العلماء الفلكيون وكذلك بيّن الحركات الخاصّة بالشمس طولًا وعرضًا وعيّن وقوع الظلّيل خارجًا عن المركز ودلّ على اتّساع الكلف والتغيمات (facules) على طرف قرص الشمس المقدّم بل هو الذي دعاها الاوّل بهذا الاسم الفلكيّ . وقد بلغت به

---

٢) اطلب تاريخ البصريّات لفلده (Wilde: *Gesch. d. Optik*, I, 170)

١) اطلب مجلّة تاريخ الفلكيّات Vierteljahresschrift d. Ast. Geschichte, 1878

معرفتهُ عن تركيب الشمس الى ان ميَّز بين نواتها المركزيَّة وبين سطحها الظاهر فجعل للنواة سرعة دورانٍ مختلفة عن هذا القسم الظاهر (١

ومما يدلُّ على عظيم همَّة الاب شينر انهُ رصد كلف الشمس اكثر من ألفي رَصد وقد ترك من رصودهِ تصاوير ورسومًا جليلة اكسبتهُ فخرًا اعظم من اكتشافهِ للكلف نفسها . وقد عرف المحدثون فضلهُ الواسع حتى انَّ الجمعية التاريخية الالمانية (Histo-rischer Verein) قد اصطنعت لهُ صفيحة معدنية حفرتها سنة ١٨٩٩ ودوَّنت فيها اعمالهُ المشكورة وجعلتها في مستشفى مدينة اينكلستادت حيث باشر باوَّل رصودهِ سنة ١٦١١

وممَّن قاسوا كپلر وغليلاي وشينر فخر اكتشافهم لكُلَف الشمس جان فبريسيوس الذي ولد سنة ١٥٨٧ في الالمانية وابرز سنة ١٦١١ كتابًا في كلف الشمس ودورانها مع الشمس (٢ طبعهُ في فتمبرج . والمؤلف المذكور لا يعيِّن زمن رصدهِ لهذه الكُلَف وانما يؤخذ من بعض تلميحات كتابهِ انهُ اكتشفها في اواخر سنة ١٦١٠ وليس لدينا دليل على انهُ اخذ علمهُ ذلك من غليلاي او من شينر . ومن ثمَّ يحقُّ لهُ ان يشاركهما في هذا الاكتشاف . وقد رصد فبريسيوس الشمس بنظَّارة هولندية دون حاجز الى ان اعتاد نظرهُ شيئًا فشيئًا معاينة نورها الساطع ثمَّ جعل نفسهُ في غرفة مظلمة وكان يجيز اليها من ثقب صغير بعض اشعَّتها (٣

وفي هذا الوقت عينهِ عاش احد الفلكيين الانكليز هاريوت (Harriot) (١٥٦٠—١٦٢١) كان اصله من اكسفرد وصادق كپلر . قيل انهُ كان من اوَّل الذين شاهدوا كلف الشمس . اما كتابهُ في ذلك فهو مفقود لكنَّ البارون دي زاخ اطَّلع عليهِ سنة ١٧٨٨ واستفاد منهُ انَّ هاريوت رصد كلف الشمس لاوَّل مرَّة في ٨ ك ١

---

١) اطلب ما كتبهُ شرَيبر (J. Schreiber) في اليسوعيين ودروسهم للعلوم الفلكيَّة في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وخصوصًا المقالة التي خصَّها بالاب شينر Natur u. Offenbarung, *XLVIII*; Montucla: *Hist. des Math.* III

٢) واسمهُ باللاتينيَّة De maculis in sole observatis et apparente earum conversione cum sole narratio

٣) اطلب Poggendorf, *l. c.* – Montucla, III – Humboldt: *Cosmos*, II, 360 – Fischer: *Gesch. d. Physik.* I, 176

سنة ١٦١٠ ! وانهُ كرَّر رصودهُ بعد ذلك حتى تحقَّق وجودها في آخر سنة ١٦١١

ويُذكر ايضاً فلكيَّان آخران توفَّقا الى مراقبة كلف الشمس احدهما فرنسويّ اسمهُ جان تَرْد (Jean Tardé) قانونيّ مدينة سَرْلات كتب في ذلك كتاباً انكر فيهِ وجود الكلف في سطح الشمس وزعم انَّ هذه الكُلَف سيارات دائرة حولها وطبع كتابهُ في باريس وقدَّمهُ للدولة البربونية . والآخر يسوعيّ فلمنكيّ سبق ذكرهُ يسمَّى شرل ملاپرت ذهب ايضاً الى انَّ الكُلَف سيارات وحاول اثبات الامر في كتاب طبعهُ سنة ١٦٢٧ . لكنَّ رأي هذين الكاتبين لم يرجح على الرأي الصحيح

وآخر من يستحقُّ الذكر لاشتغالهِ برصد كلف الشمس احد مشاهير القرن السابع عشر بطرس غاسندي (Gassendi) الذي خصَّ نفسهُ برصد كلف الشمس من السنة ١٦٢٠ الى ١٦٣٨ فارتأى في خواصها ما ارتآهُ كبار الفلكيين وكان يدوِّن رصودهُ سنة بعد سنة لكن هذه الملحوظات قد اخذتها يد الضياع فلم يبقَ منها سوى ما راقبهُ من السنة ١٦٣٣ الى ١٦٣٨ فتراها في جملة اعمالهِ وكان غاسندي يرصد كلف الشمس بعد ان يُجيزها في حاجز كان قسم قطرهُ الى ١٢٠ قسماً وبما انَّ معدَّل قطر الشمس كان يبلغ على الحاجز ٣٢ او ١٩٢٠ فكانت سعة كل قسم تبلغ نحو ١٦ ولهُ في رصود سنة ١٦٣٤ افادات عديدة وخصوصاً عن اقصى درجة تُنقص هذه الكُلَف (١

هذا ما امكننا جمعهُ بخصوص كلف الشمس وتاريخ اكتشافها . ومع ابداء اسفنا على قلَّة الرصود التي بلغتنا لا نستطيع الَّا اداء الشكر الى الذين نهجوا الطريق للمحدثين فسهَّلوا لهؤلاء ان يبلغوا هذه العلوم مبلغاً لم يكن في حسبان الماضين

مستدركات وفوائد صرفيَّة نحويَّة لغويَّة

لحضرة الخوري يوحنا مرتا المرسل الرسولي اللاتيني (تابع لما سبق)

٧ حذف حركة الإعراب من الصحيح لغير عامل

كثيراً ما يحذف الشعراء حركة الاعراب للخفة او لتوالي الحركات او اجراء للوصل مجرى الوقف او لغير ذلك كقول الاعشى وقد سكَّن آخره شاهداً على القوم :

(١ راجع كتابهُ Commentarii de rebus cœlestibus, T. V – اطلب ايضاً نشرة الجمعيَّة الفلكيَّة في فرنسة عدد ايَّار ١٩٠٦

وشاعشعرم والياسمين ورجس يصبحنا في كل فجن تمتما

وقول امرئ القيس :

أليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

وقول زهير بن ابي سلمى :

كفعل جواد يسبق الخيل عفوه فيسرع وإن يجهد ويجهدن يبعد

وقول لبيد في معلقته :

تراك امكنة اذا لم أرضها او يرتبط بعض النفوس حمامها

وقول عدي بن زيد :

فهل لك ان تدارك ما لدينا ولا تُغلَب على الرأي المصيب

فغلط بعض المتقدمين هؤلاء الفحول بحجة انهم جزموا « أشرب ويسرع ويرتبط وتُغلَب » مع كونها مرفوعة او منصوبة . ولكن قد غاب عنهُ ان الافعال المذكورة ليست مجزومة وانما هي مرفوعة او منصوبة بحركة مقدَّرة حذفها الشعراء تخفيفاً او لعلة أخرى كما غاب عنهُ انَّ حذف الحركة الاعرابية للخفة من الافعال والاسماء الصحيحة مما يجوز في السعة فضلاً عن الضرورة وذلك لسببين :

أما (اولاً) فاوروده غير مرة . . . لا في القراءات الشاذَّة فقط بل في القراءات السبع التي هي عند العلماء متواترة وبها يثبت جميع النحاة قواعد العربية . قال الصبان : « واعلم انهُ لا ينحصر تقدير الاعراب في الاسم والفعل اذ منهُ في الاسم ما سُكِّن آخرهُ للادغام او للوقف او للتخفيف نحو « يأمُرُكم » بسكون الراء ولا يختص ذلك بالشعر بل يجوز في النثر على الصحيح » اه باختصار . وقال الخضري : « بقي مما تُقدَّر فيهِ الحركات ما سُكِّن . . للتخفيف كتسكين « بارِئكم وبُعولَتهنَّ ورُسُلنا ومكْرَ النَّبي »[1] (ويأمُرُكم ويُشعِرُكم » والصحيح جوازهُ في النثر للقراءة بهِ في السبع » . وقرأ ابو عمرو وهو من القُرَّاء السبعة[2] « ويَنصُرُكم ويُشعِرُكم ويأمُرُكم » كما في المغني . . . وغير ذلك مما رُوي في الكشاف وشرح البيضوي

---

١) مكْرَ السيِّء باسكان الهمزة هي قراءة حمزة احد القراء السبعة كما افادهُ في الكشاف

٢) القُرَّاء السبعة الذين تُعتبر قراءتهم متواترة هم ابو عمرو بن العلاء من نحاة البصرة . والكسائي امام النحاة الكوفيين . وحمزة . وابن عامر . وابن كثير . وعاصم . ورافع

واما (ثانيًا) فلأنَّ حذف الحركة الاعرابية لغةٌ لبعضهم حكاها غير واحد . قال الشيخ « يس » في حاشيته على شرح القطر : « وما سكن آخرهُ للتخفيف نحو « يأمُرُكم » بسكون آخره وهو كقراءة « وبُعُلَتهنَّ » بسكون التاء يدلُّ على جواز حذف الحركة الظاهرة من الاسماء والافعال في النثر كالشعر كما ذهب اليه ابن مالك وقال ان ابا عمرو حكاهُ عن لغة تميم خلافًا لمن منعهُ مطلقًا ولمن منعهُ في النثر » . وأياها عنى ابن فارس في فقه اللغة بقوله : « اختلاف لغات العرب من وجوه احدها الاختلاف في الحركات نحو نَسْتَعِينُ ونَسْتَعِينُ بفتح النون وكسرها . . . (١ ومنها الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو يأمُرُكم ويأمُرْكم ويُعِيَ لهُ ويُعْيَ لهُ » (٢ نقلهُ صاحب المزهر (١ : ١٢٥)

وعليه اذا وقع الحرف المسكَّن للخفَّة او لسبب آخر رويًا للقافية المطلقة جاز لك ان تحركهُ بالكسر على اصل تحريك الساكن فتقول في نحو : هو يَعْلَمْ « يَعْلَمِ وسَيَعْلَمْ » كما كنت تحركهُ بالكسر لو كان ساكنًا للجزم او للبناء . ومن ذلك قول زُهير بن ابي سلمى في ختام معلَّقته :

وإنَّ سَفاهَ الشيخِ لا حلم بعدهُ ... وإنَّ الفتى بعد السَّفاهةِ يَحْلُمِ
سَأَلْنا فأعْطيتُم وعُدْنا فعُدْتُمُ ... ومن اكثرَ التسآلَ يومًا سيُحْرَمِ

---

١) قال صاحب الجمانة (ص ٢٤) : « وقُرِئَ تَبْيَضُّ وتَسْوَدُّ . ونَسْتَعِينُ . بكسر حرف المضارعة في الجميع . وهي لغةٌ قليلةٌ ضعيفة » . ولكن لا يغرنَّك مثل هذا الكلام لان كسر احرف المضارعة ما عدا الياء في وزن عَلِمَ وفي ما كان ماضيهِ مصدَّرًا بهمزة وصل او تاء زائدة ليس « لغةً قليلةً ضعيفةً » وانما هو لغة جميع العرب سوى الحجازيين نصَّ عليه ابن هشام في شرح « بانت سعاد » والرضي في شرح الشافية والشيخ « بحرق » في شرح لامية الافعال . وقد سبقهم الى ذلك سيبويه في قوله : « هذا باب ما تُكسَرُ فيه اوائلُ الافعال المضارعة للاسماء كما كسرتَ ثاني الحرف حين قلت فَعِلَ . وذلك في لغة جميع العرب الا اهل الحجاز . وذلك قولهم : انتَ تِعْلَمُ ذاكَ وأنا إعْلَمُ وهي تِعْلَمُ ونحن نِعْلَمُ ذاك » . ثم مثَّل لما تصدَّرَ ماضيهِ همزة وصل بنحو انتَ تِسْتَغْفِرُ . وقال « وكذلك كلُّ شيء من تَفَعَّلْتُ او تَفَاعَلْتُ او تَفَعْلَلْتُ يجري هذا المجرى » (٢ : ٢٧٥ ، ٢٧٧) . فالكسر اذًا لغة فصيحة وأشيعُ من لغة الفتح

٢) من العرب من يحذف الكسرة والضمة من عين الثلاثي فيقولون في نحو كَبِدٍ ورَجُلٍ كَبْدٌ ورَجْلٌ . وفي نحو عَلِمَ وعُصِرَ وكَرُمَ عَلْمَ وعُصْرَ وكَرْمَ . « وهي لغة بكر بن وائل وأناس كثير من بني تميم » قالهُ سيبويه

زعم بعض الكتّاب ان قول زهير « يحلم » بكسر الميم من الجوازات المردودة فقال : « وانما يجوز الكسر في مثل هذا فيما كان سكونهُ لازماً بمعنى انهُ يكون ساكناً في الدرج والوقف جميعاً وانما اذا كان سكونهُ عارضاً للوقف فاذا عرض ما يدعو الى تحريكهِ رُدَّ الى الحركة التي يستحقها في الدرج وبهذا تعلمون ان الكسر في قافية بيت زهير لا وجه لهُ وانما هو من التجوزات المردودة » . والصواب ان الكسر في نحو ذلك من التجوّزات المقبولة لان تسكين آخر الكلمة الصحيحة المخفة مما يجوز لكلّ مجنف ولا سيما للشاعر في الدرج والوقف جميعاً كما اثبتناهُ . فلو كان من التجوّزات المردودة لما استعملهُ زهير مرتين في ختام معلّقتهِ التي بسببها قال عنهُ الأصمعي انهُ أشعرُ الناس

٨ ظهور الفاعل مجروراً بمنْ مع الفعل المجهول

ورد في ترجمة الآباء اليسوعيين للعهد القديم : « وإلى اولئك الفرج والعمي المُبغَضين من نفس داود » (٢ الملوك ٥ : ٨) . ومثلهُ كثيرٌ في ترجمتهم للعهد الجديد كقولهم : « كلُّ شيء قد دُفعَ اليَّ من ابي (متى ١١ : ٢٧) . ينبغي ان يُرذَلَ من الشيوخ (مرقس ٨ : ٣١) . سَتُسلَمونَ من الوالدين والاخوة والأقارب . وتكونون مُبغَضينَ من الكلّ (لوقا ٢١ : ١٦ و ١٧) » الى غير ذلك . فمنع عصريٌّ مثل هذا التركيب بحجة انهُ « من التعريب الحرفي عن اللغات الاوربية . وان الفعل انما يُبنى للمجهول ويُسند الى غير فاعلهِ اما للجهل بالفاعل او لقصد اغفال ذكرهِ فاذا صُرّح بذكر الفاعل بعد ذلك تدافع طرفا الكلام وجاء آخرهُ ناقضاً لما بُني عليهِ اوّلهُ » (١ . لكنهُ لم يُصب لان التركيب الذي منعهُ هو عربيٌّ صحيح . وإنْ كانت كتب النحاة عنهُ ساكتة فقد استعملهُ غير مرةٍ من عُني من السلف بترجمة اسفار العهد الجديد منهم ابو الفرج عبدالله بن الطيّب الذي عرّب عن السريانية الاناجيل المقدسة في اوائل

(١ قال الاشموني ان الفاعل يُحذف « لغرض إمّا لفظيّ كالايجاز وتصحيح النظم او معنويّ كالعلم بهِ والجهل والابهام والتعظيم والتحقير والخوف منهُ او عليهِ » . قلت وما المانع من ذكرهِ مجروراً بمن لبعض الاسباب المذكورة كتصحيح النظم والعلم بهِ والتعظيم والتحقير . او لسببٍ آخر كالاطناب والتقرير والتعجب والتعجيب . ولِمَ لا يجوز للعرب ان تقول كما يقول غيرهم « خُلِقَ الانسانُ من الماء . ولُطِمَ السيّدُ من العبد . والمُعلّمُ مكرمٌ ومحبوبٌ من تلاميذهِ . وهذا كتابٌ مُرسَلٌ من والدي » وما اشبه ذلك

الجيل الحادي عشر للمسيح فقال في الكتاب المشهور باسم « دياطاسارون » والمطبوع في رومية سنة ١٨٨٨ : « كان (هيرودس) يُوبَّخُ من يوحنا . والتفت (يسوع) الى تلاميذهِ وقال لهم سَلَمَ اليَّ كلُّ شيء من ابي . . ويُطرَحُ من المشايخ ومن عظماء الكهنةِ ومن الكتّابِ » (ص ٢٣ و ٦٠ و ٩١) . وقال الشيخ ناصيف اليازجي في خاتمة الجمانة : « انني الآن قد أدّيتُ الى الطلبة الامانةَ التي استُودِعتُها من القومِ ». وكذا في المختصر . فقولهُ « استُودِعتها من القومِ » اصلهُ في صيغة المعلوم « استودَعتيها القـومُ »

فلعلَّك تقـول ان أبا الفرج والشيخ ناصيف ونجلهُ ليسوا ممَّن يُحتجُّ بكلامهِ . ولكن ما قولك عن الشواهد الآتية : « أنْ يُنزَّلَ . . . من ربِّكم . وأُوتيَ من ربِّهم . وعُفيَ لهُ من اخيهِ . وأُوحيَ من ربِّكَ . ومُرسَلٌ من ربِّهِ » . أليست هذه الشواهد وكثير من نظائرها من افصح الكلام واجزلهِ ومما يحتج بهِ كلُّ ناثرٍ وناظمٍ . أوَ تدَّعي بعد ذلك ان التركيب المشار اليهِ هو من التعريب الحرفي عن لغات الأعاجم

٩ ورود حَيْثُ للتعليل

خُيِّل لبعض المتأخرين ان حيثُ لم تَرِد اصلًا للتعليل فأخذ على الآباء اليسوعيين قولهم في ترجمة العهد القديم : « وكان صراخٌ عظيم في مصر حيثُ لم يكن بيتٌ الّا وفيهِ ميت » (الخروج ١٢ : ٣٠) . وقولهم : « حيثُ قاتلَ الربُّ عن اسرائيل » (يشوع ١٠ : ١٤) . فالصواب عندهُ ان تجعل « إذْ » مكان « حيث » في الموضعين . غير ان ما خُيِّل اليهِ مما لا يُعرَّج عليهِ فانَّ لحضرة الآباء الاجلّاء أسوةً حسنةً في الفصحاء والثقات الذين يجعلون ما يقولونهُ بمنزلة ما يروونهُ . فهذا سيبويه قد استعمل حيثُ للتعليل في مواضع لا تُحصى من كتابهِ . وكفاك شاهدًا على ذلك انهُ في الباب ٥٧١ وهو الباب الأخير من كتابهِ قد استعملها اربع مراتٍ بالمعنى المذكور قال : « هذا باب ما كان شاذًّا ممَّا خفَّفوا على ألسنتهم وليس بمطَّرِد فمن ذلك ستٌّ وانما اصلها سدسٌ وانما دعاهم الى ذلك حيثُ كانت مما كثر استعمالهُ في كلامهم — حذفوا التاء من قولهم يَستَطيعُ فقالوا يَسطيعُ حيثُ كثرت — وقال بعضهم إستَخَذَ فلانٌ أرضًا يريد اتَّخذ ارضًا . حيث كثرت في كلامهم — وكذلك السينُ لم تجد حرفًا اقربَ الى التاء في المخرَج والهمس حيث ارادوا التخفيف منها » . وفي كلامهِ برهان واضح على

ان حيثُ كانت شائعةً عند فصحاء العرب بمعنى التعليل . وقال ابن القفّع في كتاب كليلة ودمنة : « فحيثُ قد عرفتَهُ فاذهبْ عاجلًا » (١ . وفي الصحاح وغيره من الأمهات في مادة وأس : « وانما جاز ذلك من حيثُ كان اسم جنس » . ونقل صاحب اللسان في مادة طلق . وفي الحديث الطُلَقاء من ثقيف كأنه ميّز قريشًا بهذا الاسم حيثُ هو أحسَنُ من العُتَقاء » . وفي مادة صفا : « حيثُ استوفيتَ علينا في الردّ » . وجاءت حيث للتعليل في مقدمة المفصّل للزمخشري . وقد استعملها غير مرّةٍ بهذا المعنى العلّامة ابن الاثير في كتابه « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » كقوله : وحيثُ انتهى بنا القولُ الى هذا الموضع فلنرجع الى ما هو غرضنا ومهمّنا من الكلام على الإيجاز وحدّهِ واقسامهِ » . وقولهِ « حيثُ لم يؤمنوا بالله » . وقولهِ « حيثُ ناسب الاسمُ مُسمّاهُ ولاقَ بهِ » . هذا ولا تنسَ ما نقلهُ ابو البقاء في كتاب الكليات : « استعمال الثقات الالفاظ في المعاني تُجعل بمنزلة نقلهم وروايتهم وإن لم يوجد في كتاب اللغة ولا في استعمالات العرب » (لهُ تابع)

المرأة وتربية الولد

نظر للاب شرل لوسان اليسوعي

ترى المجلات الوطنيّة مشحونة اليوم بالمقالات في المرأة وتعظيم شأنها ووصف حقوقها وهي في الغالب تهمل اعظم واجبات الامّ وأقدسها اعني تربية الولد التي عليها قوام العائلة او بالحري قوام الهيئة الاجتماعية كافّةً . ومن ثمَّ عوّلنا على تسطير هذه النبذة علّها تنبّه افكار الأمهات الى احدى فرائضهنَّ السامية وتثبت ما لهنَّ من المرتبة العليا في النظام البشري اذا ما صرفن همّتهنَّ الى هذه المهمّة الشريفة

*

وقبل الخوض في موضوع كلامنا لا بُدَّ لنا من تصديرهِ ببعض المقدّمات التي

---

١) كذا في طبعة بيت الدين (ص ٥٤) وطبعتي باريس والقاهرة . واما طبعة بيروت اليازجي فجاءت فيها عبارة ابن المقفّع محرفةً هكذا : « فإذ قد عرفتَهُ الخ » (ص ٨١)

تساعدنا على ادراك غايتنا وتبيّن بياناً واضحاً نيّات الخالق بتكوينهِ المرأة وبجعلهِ اياها في صحبة الرجل

والمبدأ الاصلي الذي يجب اعتبارهُ في ذلك انَّ المرأة ليست ادنى طبيعةً من الرجل ولا احطّ شأناً منهُ . وبياناً لهذه القضيَّة لا بُدَّ من مراجعة سفر الخليقة وذكر تكوين الابوين الاوَّلين فانَّ الله عزَّ وجلَّ اذ اتمَّ خلق العالم وهيَّأ ارضنا كبلاط عجيب لسكنى ملك المخلوقات استحسن صنعهُ ثمَّ فاه بتلك الآية التي كانت احسن ختام لعملهِ الالهيّ قائلاً (تك ١ : ٢٦) : « لنصنع الانسان على صورتنا كشبهنا وليتسلَّط على سمك البحر وطير السماء والبهائم وجميع الارض » . ثم جبل الانسان تراباً ونفخ في انفهِ نسمة حياة . فصار الانسان نفساً حيَّة وبرز في كلّ بهاء طبيعتهِ وهو شخص وسط بين الارواح العلويَّة والكائنات السفلى جامعاً خواصّ الطبائع الماديَّة وصفات المخلوقات المجرَّدة . جسم ونفس معاً جسم تشرّفهُ نفس ناطقة ونفسٌ تستعين بمشاعر جسمها العجيبة وكلاهما مرتبط ارتباطاً غير منفصم في وحدة الطبع والاسم . وذلك الانسان

ثمَّ اراد الله ان يبلغ الطبيعة البشريَّة اوج كمالها بان يجعل آدم شخصاً ألوفاً بعد ان كوَّنهُ وصيَّرهُ شخصاً ناطقاً حرّاً فقال (تك ٢ : ١٨) : « لا يحسن ان يكون الانسان وحدهُ فأصنع لهُ عوناً بازائهِ » . ويُخبر الكتاب الكريم انَّهُ تعالى بعد هذا القول اوقع سباتاً سريّاً على آدم ثمَّ القى اليهِ ببصرهِ متعطّفاً ومسَّهُ بيدهِ الخالقة ليس في جبهتهِ مركز العقل والارادة بل في صدرهِ حيث القلب يخفق وتنطبع كلّ العواطف المقدَّسة والحاسيَّات اللينة فاستلّ احد اضلاعهِ وبنى منها المرأة الاولى (تك ٢ : ٢٢) وهكذا تمَّ خلق حوَّاء فجعل جسمها من جسد الانسان ونفسها كنفسهِ من نفخة الخالق . ولذلك صرخ آدم اذ رأى في حوَّاء شبههُ والعون الذي أُعطي لهُ (تك ٢ : ٢٣ — ٢٤) : « هوذا هذه المرَّة عظم من عظامي ولحم من لحمي هذه تسمَّى امرأةً لانها من امرئ أُخذت . ولذلك يترك الرجل اباهُ وامَّهُ ويلازم امرأتهُ فيصيران جسداً واحداً »

فعلى هذا القول كما على اساس مخلَّد بُني نظام العائلة فالمجتمع البشري فالتمدُّن . وحيثما بقي هذا الركن ثابتاً ثبتت ايضاً الهيئة الاجتماعيَّة واذا قُوِّض تقوَّضت . ومرجعهُ الى انَّ المرأة رفيقة الانسان وعونهُ بل شقيقتهُ اذ هي « عظم من عظامهِ ولحم من لحمهِ » فلا يحقُّ للرجل ان يعتبرها بمثابة العبد يتصرَّف فيها كيف يشاء . وهي فوق ذلك

زوجته لأنهُ حُتم عليهما ان يكون كلاهما في جسد واحد . اعني ان يكون الرجل لزوجته كما الزوجة لرجلها ولا يزيدا على الاثنين . وان يكونا جسدًا واحدًا طول كيانهما في الحياة وكما انَّ الموت وحدهُ يفكّ وحدة الجسد فهكذا ايضًا يتلف الموت وحدهُ وحدة الزواج مصدر الحياة البشريَّة والألفة الاجتماعيَّة

فبناء على هذه الاوامر الالهيَّة المطاعة ثبت وسوف يثبت الى منتهى العالم عهدٌ اخويّ بين الرجل والمرأة عهد جامع مانع غير منفصم تكون فيهِ الرئاسة للرجل لأنَّ المرأة من الرجل أُخذت لتكون لهُ عونًا شبيهًا بهِ . فبهذا يقوم جوهر العيشة الأهليَّة ومن تعدَّى هذه السنَّة العجيبة بلبل نظام الخالق وعرَّض بالعائلة الى الذلّ والعار فتصبح الزوجة أُلعوبة لاهواء الرجل وتسقط من مرتبتها وينعكس فعل سقوطها على الولد الذي عند بلوغهِ سنّ الرشد لا يرى في والدتهِ سوى عبدة ذليلة ويأنس من نفسهِ ثمرة المطامع الوالديَّة . لكنَّ الولد قبل ان يدرك هذه الامور المحزنة يكون قد تأثَّر من ذلّ والدتهِ لا يتحرَّر من عهدتها ليلحق بابيهِ الَّا بعد ان تأذَّى بانحطاطها . وذلك لأنَّ تأثير الام في تربية ولدها عظيم جدًّا وكما انَّ المثل السائر يقول بانّ الذي لشبه اباهُ ما ظلم كذلك يصحُّ القول بانّ الولد تربع امهِ يتخلَّق باخلاقها لا بل تأثير امهِ فيهِ اعظم من تأثير والدهِ لتخاضة نفسهِ واستعدادها في سنيها الاولى لقبول كلّ تعاليم والدتهِ

وبيانًا لذلك هاءنذا اصف نصيب الوالدة في تربية ابنها الجسديَّة وفي تهذيب شخصهِ الادبيّ

*

قد لحظ ارباب النظر منذ القرون السالفة انَّ الاولاد اذا كانوا من اب واحد وامّ واحدة اشبهوا احد الابوين ومثلوا في سحنتهما صورتهما وربَّما عُرفت الاسرة كلها من ملامح الاولاد . لكنَّ هذا الشبه انما هو امرٌ عرضي لا يمسُّ طبيعة الولد وبواطنهُ . ويوجد تشابهٌ آخر أعرق يبلغ كُنه المركب البشري نفسهِ وهو التشابه الطبيعيّ والادبيّ

قرَّ اليوم بالاختبار انَّ الامراض التي تفسد جسم الاب او الامّ لها صداها في مواليدهما بناء على سنَّة الوراثة . فانْ مُني احدهما مثلًا بداء السلّ جرت الى ولدهما جرثومة الموت من مصدر الحياة نفسهِ فيولد الصغير وقبرهُ الى مهدهِ على قاب قوسين او

ادنى . وان نجا المولود من هذا الداء ربَّما أُصيب الجنيد بهِ على منوالٍ افظع واخطر . وتلك سنَّة الوراثة الجدِّيَّة

وكما انَّ اسقام الوالدين وعللهما تحلُّ باولادهما فكذلك ايضاً عيوبهما ونقائصهما تنتقل اليهم وتدنِّس حياتهم فمن ذلك الخلاعة والسكر وهما اكبر عوامل انحطاط النسل وفسادهِ . وكلُّ هذه المعايب لا تعمل فقط في جسم الاولاد لكن تؤثر ايضاً في آدابهم وعقولهم . وما تحقَّق مرارًا بالتجربة انَّ الجنون والبلاهة مما يورثهُ الابوان بالدم لاولادهما . وكذلك التردّد وقلَّة العزم وضعف الارادة فانَّ كلَّ هذه النقائص تفشو في الانجال اذا اعتادها الابوان . وقد اظهر العلم الحديث كلَّ هذه الحقائق حتى انَّ البعض بالغوا في مزاعمهم وارادوا ان يزكُّوا الاولاد من بعض المآثم لزعمهم انهم محمولون عليها قسرًا بقوَّة الوراثة لا مسئولية عليهم فيها

اجل انَّ هذا لمن الامور المنكرة فانَّ الانسان ابنُ اعمالهِ وهو مسئول عنها قبل سواه الَّا انهُ لا ينكر ايضاً انَّ للأَميال المنحرفة في الانسان اسوأ تأثير اذا اكتسبها بالوراثة الابويَّة فتعرِّضهُ دون اتمامهِ لواجباتهِ مثلما كل لم يُلفها الذين ولدوا من ابوين فاضلين

فترى مما سبق انَّ خير النَّسل يقتضي في الوالدين الصحَّة الجسديَّة التامَّة والعافية الادبيَّة الكاملة وذلك من اوَّل ما تعلَّق الامّ بالولد . وإن كان ذلك فرضاً مفروضاً في الابوين كليهما فانَّهُ في الامّ أَلزم وأَحرج لما بينها وبين ولدها من العلائق الخاصَّة فيتأثَّر مزاجهُ من مزاجها ويأخذ طبعهُ من طبعها مدَّة الاشهر الطويلة التي لا حياة لهُ الَّا بحياتها . ولم ينتهِ عملها بالولادة بل تبتدئ عندئذٍ اعمال دعوةٍ سامية انتدبها الله اليها دون زوجها مدَّة عدَّة سنوات فهي على قول الكتاب المقدَّس اثمن عون للرجل فانَّها في تلك السنين الاولى ترسم في اولادها صورتها الادبيَّة بعد ان طبعت فيهم صورتها الجسديَّة . ولما كانت المرأة كما قال احد كبار الكتبة افضل من الرجل او اردأ منهُ اضحى ايضاً تهذيبها لطفلها اعظم فائدة او اسوأ اثرًا من تربية الاب

انهُ غنيٌّ عن القول ان نفس الصغير غضَّة ليِّنة تنطبع فيها كلُّ صور المحسوسات طبعاً لا يُمحى وفقاً للمثل السائر « علمٌ في صغر نقش في حجر » فترى قواهُ العقليَّة من فهم وذاكرة وخيال متوقِّدةً يتلقَّف كلَّ ما يعاينهُ بسهولةٍ غريبة ويصون ذلك في خزانة

قلبه طول حياته حتى في ايام هرمه اذ يسهو عن اشياء كثيرة دون ان ينسى شيئاً من اعمال حداثته . وقد شبّهوا قلب الصغير بشمع لين ينقر فيه النقّاش رسوماً شتّى فاذا صلب الشمع بقيت الرسوم على حالها من العمق والجلاء. امّا ما يُكتب بعد ذلك فانّ كثيراً منهُ يبقى على سطح الشمع فتمحوهُ الأيام ويفنى بما يطرأ عليه من الطوارئ الخارجة

واوّل من يكتب في نفس الطفل ويرسم الرسوم في عقله وقلبه انّما هو الامّ قبل سواها تضع ذلك بحبّ غريزتهُ فيها الطبيعة والطفل اوّل من يتلقى فعلها بشعر باسم. كأنّهُ يدرك عمقها فينشأ بين كليهما روابط من الفعل والانفعال تزيد كلّ يوم قوةً على قدر ما يشبّ الغلام ويترعرع. فليت شعري أترى نفوذاً في قلب الصغير وتأثيراً اعظم من هذا النفوذ وهذا التأثير وان كانت الامّ غير كفوّ لهذه المهمّة الخطيرة فمن يا رعاك الله يقوم بها

واعلم انّ الام لا تقوى على انجاز هذا الامر الشاقّ كما يقتضيه خير الولد إنْ لم تكن مكرّمة معتبرة في اعين زوجها وليس اكرام واعتبار خارجاً عن الزواج القانونيّ كما رسمهُ السيد المسيح وكما تصونهُ الكنيسة الكاثوليكيّة منذ بدء النصرانيّة . ألا ترى ما كانت حالة المرأة بين الشعوب الوثنيّة من الشوريين وبابليين ومصريين ويونان فانّها كانت تُعدّ عندهم بمنزلة الأمة يتلاعبون بها تلاعبهم بالملاهي وينبذونها نبذ النواة اذا بلغوا منها وطرهم . ولعلّ الرومان في اوّل تاريخهم رفعوا رتبة المرأة وأحلّوها محلاً اجلّ واسمى لكنّ فساد الوثنيّة لم يلبث ان يسري بينها وتضعضعت بعد حين اركان العائلة حتى « انّ النساء الرومانيّات على ما اخبر سنيكا الفيلسوف لم يَعُدْنَ يحسبنَ عمرهنّ بتاريخ ولاية القناصل كما كانت العادة بل بتعدُّد ازواجهنّ

والحقّ يقال انّك لا ترى في الامم الوثنيّة حيثما سرحت البصر كون المرأة تمتّعت بما خوّلها الله في جنّة عدن ان تكون عون الرجل ورفيقة حياته لكنّها تنتقل من حكم ابيها الصارم الى مُلك زوجها المطلق . فتذلّ بذلك نفسها وتسقط هيبتها ولا تطلب الّا التحرّر من رقّها ولذلك يحتاج الازواج الى ان يفردوا لنسائهم الدور الخاصّة ويوصدوهن بالابواب ويقيموا عليهنّ الحرس من الخصيان لئلا تخونهم حريمهم

فان كانت هذه حياة المرأة وهذه افكارها السخيفة فكيف يا تُرى ينضح هذا

الاناء الّا بما فيهِ وكيف ينجو الولد من الامثال السيّئة التي يراها منذ نعومة اظفارهِ وينشأ على الآداب الحسنة والمدارك العاليـة . وقد احسّ بذلك افلاطون الفيلسوف ومن ثمّ اراد انشاء حكومةٍ يختلط اصحابهـا اختلاط البهائم فيأخذ الصغار ويربّيهم كما يربّى اللقطاء دون ادنى نفوذ للابوين في تربيتهم

فيا لله كم كانت المرأة في حاجة الى ان تعود الى رتبتها الاولى السامية التي أعطيتها في بدء العالم . والفضل في ذلك كلّ الفضل للاله المتأنّس الذي اتّخذ لهُ امّاً عذراء جعلها قدوة كلّ الفضائل وقلّدها اسمى الهبات واحبّ هو ايضاً ان يعيش عيشة أهلية مطيعاً لامّهِ ليرفع بذلك شرف الامّهات ولابيـهِ بالذخيرة لتكون عائلة الناصرة مثالاً تتّجه اليهِ انظار كلّ العيال الراغبة في العيشة الفضلى التي ليس دونها هناء وسلام . ثمّ قدّس المسيح الزواج بحضورهِ لعرس قانا الجليـل واعاد هذا السرّ الى رونقهِ الاوّل بمنعهِ الطلاق حتى انهُ لم يسمح بالابتعاد عن الزوجة الّا لداعي الزنى وحدهُ

وان سرّحت رائد الفكر في حالة العالم بعد انتشـار الدين المسيحيّ تحقّقت ما كان لتعليم الانجيل من القوّة العجيبة في ازدهار الفضائل في العيال الجارية على التعاليم السيّديّة فعاد للمرأة مقامُها في اعين زوجها وبعود حقوقها ادركت ايضاً سموّ واجباتها وخصوصاً واجبات تربية اولادها

ومما تجديهِ التعاليم المسيحيّة للام انّها تجعل حبّها الغريزي لولدها ارقّ واصفى اذ تعتبرهُ كوديعة ثمينة أودعها الله في يدها لتغرس في قلبـهِ اشرف العواطف وألطف الحاسيّات فينشأ من صغرهِ محبّاً لالهِهِ متمماً لاوامر خالقهِ خائفاً من تعدّي وصاياه . وبذلك تتجرّد الامّ في تربية ولدها عن حبّ الذات فتطلب منهُ قبل الكلّ ان يكون ابناً لذلك الآب السماويّ الذي لهُ الحق الاوّل على عبادهِ

واذا صفا حبُّ الامّ لابنها ورأت فيـهِ صورة الله روديعة مقدّسة عاملتهُ معاملة الاشياء المكرّسة لخدمة الله وامتنعت عن تدليلهِ والتبذّل لهُ . واذا رأت فيـهِ ميلاً منحرفاً او نقيصةً بادرت للحال الى استئصالها من قلبهِ قبل ان ترسخ في نفسهِ عادات سيئة ويصعب بعد ذلك ترعها . واذا اقتضى الامر الى زجرهِ او تأديبهِ بقصاص خفيف فحبُّها الصادق لا يؤخرها عنهُ رغبـةً بمستقبل ولدها وبسلام العائلة اذ تعلم صحّة

قوله تعالى في سفر الامثال (٢٩: ١٥) : العصا والتوبيخ يفيدان حكمة والصبي المهمل يخزي أمهُ »

ولا يكفي الامّ الصالحة بان تنزع من قلب ابنها الاعشاب الباطلة المضرّة بل تطلب منها دعوتها الجليلة ما هو فوق ذلك اعني ان تربّي ولدها تربية مسيحيّة . وما ادراك ما هذه التربية فانها تحوّل الامّ صنفاً من الكهنوت لدى ولدها فتبتدئ بتثقيفه وهو في حجرها ليرضع الصلاح مع اللبن فمن فرائضها ان تعرّفهُ مبادئ الآداب السامية ليعطي الصغير كلّا حقّهُ فيتمم واجباته نحو الله ونحو قريبه ونحو نفسه واليها عُهد بان تلقّنهُ من معرفة دينه ماهو قادرٌ على فهمه حسب قوى عقله وارادته فتعلّمهُ ان يرفع قلبهُ الى ربّه بالصلاة مرارًا في النهار وان يعتبر الله حاضرًا امامهُ يشاهد كلّ اعماله . وعليها يترتّب ان تعرّفهُ بخلّصه لا سيّما بالطفل الالهيّ وبوالدته الطاهرة . وتحملهُ على ان يحكم في كلّ شيء ليس بمقتضى الحسّ والهوى بل على موجب العدل والحكم الصواب . وبالاجمال على الام أن تتقدّم الجميع في العناية بتربية ولدها وتبحث في قلبه منذ الطفولية البادئ التي تجعل بابناء الله وبرجال المستقبل وكأني به تعالى بعد خروج الطفل من مياه المعمودية مطهّرًا من الخطيئة الاصلية مقدّسًا بالنعمة صائرًا هيكلًا للروح القدس ووريث المواعيد الابدية يقول لامه الطبيعيّة ما قالهُ ابنة فرعون لمّا انتشلت موسى من مياه النيل وسلّمتهُ الى امه (خروج ٢ : ٩) : « خذي هذا الصبيّ وارضعيه لي » وبذلك اقامها الربّ مقامهُ وسلّمها تربية الولد الذي هو ابنهُ قبل ان يكون ابنها

وللكاتب الشهير والفيلسوف النطاسيّ دي ميستر كلام شائق عن دَوْر الامّ في تربية صغيرها يمثّل باجلى مظاهر الصواب قدرتها على حسن نشأته قال : انّ الانسان من حيث الاداب يتأدّب على الاغلب في العاشرة من سنّيه . ومن البلاء ان لا يكون كذلك . ليس شيء يغني عن تربية والدته وهو في حجرها . لأنّ الام اذا اخذت على نفسها ان ترسم سمة الله على جباه اولادها كنّا على ثقة انّ يد الرذيلة لن تستطيع الى محوها سبيلًا . ولعلّ الولد يحيد بعدئذٍ عن الطريق لكنّ حيدهُ اشبه بدورة في التيه فلا يلبث ان يعود الى النقطة التي خرج منها »

آه لو علمت الوالدة شرف المهمّة المقدّسة التي فوّضها الخالق اليها في الالفة

واحتاطت بها للامّ المسيحيّة من السطوة على قلب ولدها والاثر الذي يرسمهُ في نفسهِ كلامها وإنذارها ومثالها الصالح خاصّة طول حياتهِ لما أتت بفعل او قول يخرج براءة ذلك الملاك الموكول اليها من الله ولما غفلت عن إشراب تلك النفس العزيزة والبديعة الجمال العواطف المقدّسة والتعاليم التقويّة التي من شأنها ان تنعش فيها الحياة وتنيرها بجملتها

ولا تقولنّ الام انّ هذه المهنة الجليلة والواجبات العظيمة صعبة لا يمكن احدًا ان يرقيها حقّها . فانّ التاريخ المسيحيّ مشحون بذكر النساء الشهيرات اللواتي اخرجن الى حيّز العمل هذه الامثلة السامية وذلك في كلّ درجات الهيئة الاجتماعيّة منذ اسفل مراقي سلّم المجتمع البشري الى اعلى مصاعده في الأُسر الشريفة بل على مواطئ العروش الملكيّة . ولو راجعنا اقوال مشاهير الرجال من قديسين وابطال وسياسيين سمعناهم كلهم يذكرون بالشكر والدتهم اللواتي طبعنَ في قلوبهم حبّ الفضيلة ورقّين عقولهم منذ حداثة سنهم الى الامور الشريفة والهمم السامية بثنائهم عليهن فيتحقّق قول الكتاب المقدّس (امثال ٣١ : ٢٩) « انّ بنيها يقومون فيغبطونها ويوافقهم رجلها في مدحها »

ومتّن يستحقّ ذكرًا خاصًا في هذا الباب الملكة بلنش دي قسطيلة امّ القديس لويس التاسع ملك فرنسة التي جمعت في شخصها كلّ الفضائل المسيحيّة مع كلّ الخصال التي يحفها الكتاب الكريم في المرأة القويّة حتى انها دبّرت بحكمة عجيبة امور الدولة بعد موت قرينها الملك لويس الثامن ريثما يبلغ ابنها السنّ الشرعيّ لضبط زمام الملك . فهذه الام العجيبة التي كانت تحبّ ابنها محبّة لا تقاس صوّرت في قلبهِ منذ حداثة سنهِ كلّ السجايا الحسنة والفضائل الملوكيّة التي ندر مثالها في مثلهِ فاصبح قدوة كلّ الملوك وصار اسمهُ مرادفًا للبرّ والعدل والشهامة والعفاف . ومع حبّ هذه الامّ الفريدة لهذا الولد الفريد ربّما كانت تأخذهُ بين ذراعيها وتردّد على مسامعهِ قولها : « يا بنيّ انك لعالم كم هي عظيمة محبّتي لك فتأكد مع ذلك اني افضّل ان اعاينك ميتًا امامي من أن اراك مدنّسًا بخطيئة واحدة ثقيلة » . والحقّ يقال انّ بلنش دي قسطيلة لم تسعَ لخير ابنها في شيء الّا رأتهُ راجحًا في ميزان الصلاح . كما فعلت لمّا قرنتهُ بالزواج بافضل اميرات زمانها بل بملاك متقمّص جسمًا وهي مرغريت دي بروفنسة

ولما ارشدتهُ الى كلّ الاعمال الجليلة التي شرّفت ملكهُ ولما آثرت صوالح النصرانيّة على صوالح فرنسة الخاصّة فرضيت بان يتجنّد للمسيح . وقد عرف لويس لأمهِ كلّ هذه الخدَم فكان يطرِ فهُ بثنائها امام كلّ حاشية دولتهِ ولما بلغهُ خبر وفاتها تفجّرت الدموع من عيونهِ سيولًا فكان يقول : ما كنت أُحبّ بعد الله خليقةً مثلها »

ولذلك ترى كتبة تاريخ لويس التاسع لا يفرقون الابن عن امهِ ويقرّون جهارًا انّ مزاياهُ السامية لم تكن غير صدى لحسن شمائل امهِ . قال فولتير الملحد الشهير (١ « انّ لويس التاسع أولى فرنسة النصر وجعلها في ذروة التمدُّن وكان في كلّ شيء مثالًا للبشر جمع بين تقوى الحبساء وفضائل اسمى الملوك وبين الكرم الواسع والاقتصاد الحكيم وبين حسن السياسة والعدل التامّ ولعلّهُ هو الملك الوحيد الذي استحقّ هذا المديح اشتهر بضبطهِ وحزمهِ وبسالتهِ في الحروب دون تهوُّر وبرحمتهِ نحو الفقراء كأنّهُ في حياتهِ لم يعرف غير البؤس والفقراء لا نظنّ انّ الانسان يمكنهُ على الارض ان يتجاوز هذه الحدود في البرّ والصلاح »

فترى من هذا المثل ما للام من السطوة والقدرة في تربية ابنها . فاليك الأمهات يدركنَ عظم دعوتهنّ فبكل حق يمكننا ان نختم هذا الكلام بقولنا انّ مستقبل الولد وسعادتهُ متوقّفة بنوع خاصّ على اجتهاد الوالدة واهتمامها كما انّ اهمالها لتربيتهِ يعود عليها وعلى العائلة باسرها بتنغيص العيش وامرّ الاكدار وذلك قبل ان تقوم بازاء الدَّيّان الرهيب لتؤدي الحساب عن الوديعة التي أؤتمنتها

الابرشيّة الارمنيّة الكاثوليكيّة في حلب

لحضرة الاب الفاضل الورتيت بولس بليط الارمني الكاثوليكيّ

قد بيّن المشرق في احدى السنين الفائتة (٥٢:٣) انّ روح الكثلكة دبّ في طائفة الارمن منذ قام فيها رسولًا غيورًا وراعيًا مقدامًا ذلك الرجل الفاضل والاسقف الكامل السيّد ابراهيم ارزميان الذي قُلّد رتبة الاسقفيّة على حلب سنة ١٧١٠

وهذا الكلام لا يصحّ الّا على وجه فقط اذا لحظنا سلسلة الاساقفة المتّخذين مع كنيسة رومية بلا انقطاع امّا وجود الارمن الكاثوليك في حلب مع بعض اساقفة

(١ اطلب ترجمة لويس التاسع (Voltaire: *Essai sur l'Histoire Générale*)

مقرين برئاسة الكرسي البطرسي وبالتعاليم الرسولية فانَّ ذلك قديم العهد واصلهُ يرتقي الى القرون الوسطى او ما وراء تاريخها . وكان تجار الارمن يقصدون الشهباء لشهرتها وغناها قادمين اليها من جهات قيليقيا ومن بلاد العجم وما بين النهرين فيستوطنونها مؤملين الربح من تجارتها . على اننا لم نتمكَّن من معرفة اوَّل ظهور هذه الطائفة فيها

ومما اخبرهُ المعلَّم غالانوس (١ وغيرهُ من المؤرخين انَّ حاتم (هيتوم) صاحب سيس دخل حلب سنة ١٢٥٩ في خدمة مونككا (منغوخان) اخي هولاكو التتري وكان حاتم المذكور كاثوليكيًّا فاضلًا متَّحدًا مع الكرسي الروماني المقدَّس كما اثبت ذلك الكاڤالير دومنيكوس في تاريخهِ العام لقبرس واورشليم (ج ١ ص ٦٤٤) . وقد مدح البابا اقليمس الرابع سموَّ فضلهِ وتقاهُ وطاعتهُ للكرسي البطرسي في كتاب جليل ارسلهُ اليهِ ليعزيهُ في نكباتهِ . وحاتم هذا تنازل عن الامر طوعًا لابنهِ لاون واعتزل في بعض الأديار زاهدًا وانهى حياته بالنسك والفضيلة . ولا شك انَّ قومًا من الارمن الكاثوليك نزلوا حلب وجعلوا فيها سكناهم على عهدهِ . وهو أقدم ما لقينا من الاثار لوجود الارمن في حلب

ولعلَّ هولاء الكاثوليك تناسلوا وتواصلوا الى القرن الخامس عشر . ومما لا يُنكَر انَّ البطريرك قسطنطين ارسل نيابةً عنهُ الى المجمع الفلورنتيني المسكوني سنة ١٤٣٨ يواكيم مطران ارمن حلب كما يلوح من تاريخ المعلَّم ميخائيل شاميش (لك ٦ ص ٤٧٥) وقد اثبتهُ غبطة بطريركنا غريغوريوس الثامن في تأليفهِ المدعو «تيغيران» كما سبق واشار اليهِ غالانوس في كتابهِ الجدلي (ص ١٧٢) وكان ليواكيم رفقة صحبوهُ الى المجمع وقد خصَّهُ البابا اوجانيوس الرابع بالمدح في رقيمهِ الشهير الذي وجَّههُ الى الارمن

وفي السنة ١٥٦٣ سافر من حلب بعضٌ من الارمن الكاثوليك لزيارة عاصمة الكثلكة واسماؤهم لا تزال محرَّرة في خزانة كنيسة القديس بياجيوس (كذا) في رومة كما تبيَّن ذلك السيِّد يوسف فرحيان وكيل غبطة بطريركنا لدى الكرسي الرسولي واطَّلع عليهِ هناك فاخبرنا بهِ

وفي السنة ١٥٨٤ لما حضر القاصد الرسولي السيِّد ليونرذس ايبلا اسقف صيدا

١) راجع كتابهُ المدعو اتِّفاق الكنيسة الارمنيَّة مع الكنيسة الرومانيَّة المطبوع لاتينيًّا وارمنيًّا في رومية سنة ١٦١٠ في مطبعة انتشار الايمان (ج ١ ص ٢٨٣–٢٨٦)

الى هذه البلاد ليخابر رؤساء الطوائف الشرقيَّة ويفحص عن صحَّة ايمانهم وعن تعلّقهم بالكرسي الرومانيّ ارسل اعيان ارمن حلب مكتوبًا الى النائب البطريركي يحضُّونهُ الى الحميّ الى حلب ليجتمع بالقاصد المذكور ويفاوضهُ بالامور التي ذكرها الاب الاقدس في براءته الخصوصيَّة. وهذا الامر ثابتٌ قرَّرهُ القاصد الموما اليهِ في تقريرهِ الذي ارسلهُ الى البابا سكستوس الخامس . وقد دوَّنهُ غبطة السيّد عازريان في كتابهِ المسمَّى تقليد الكنيسة الارمنيَّة في رئاسة الاحبار الرومانيين وعصمتهم (ص ٨٠ طبعة رومية ١٨٧٠)

وفي السنة ١٥٨٥ اراد البطريرك اظاريا ان يؤدي للحبر الاعظم فروض الطاعة فارسل الاسقف يوحنَّا الحلبيّ مع شمَّاس الخيلي يدعى كريكور كان حلبيًّا ايضًا وسلَّمهما صورة ايمانهِ ليقدّماها الى البابا غريغوريوس الثالث عشر . وقد اخبر المعلّم غالانوس (ج١ص٣٩٦) انَّ البطريرك المذكور في السنة التابعة ارسل صورة ايمانهِ ثانيةً الى البابا سكستوس الخامس وكان وقعها اربعة من اساقفتهِ في جملتهم الاسقف يوحنَّا السابق ذكرهُ . وقد اورد ذلك ايضًا في تاريخهِ المعلّم شاميش (ج٣ص ٥٢٨) . وفي رومية في الخزانة الواتيكانيَّة صكٌّ مكتوب بيد لعازر اسقف حلب قدَّمهُ للحبر الاعظم شهادةً على ايمان البطريرك اظاريا وعلى ايمانهِ يقول فيهِ : « انا لعازر مطران حلب اشهد انَّ البطريرك اظاريا اقتبل صورة الايمان ونحن ايضًا نقبلها تمامًا » . وكانت هذه صورة الامانة كاثوليكيَّةً دون ريب

ومات البطريرك اظاريا المذكور في حلب . وضريحهُ معروف الى اليوم يُرى في كنيسة الاربعين شاهدًا التي هي في يد الارمن المنفصلين . وقد كُتب عليهِ بالارمنيَّة ما تعريبهُ : « السيد اظاريا الكاطوغيكوس (البطريرك) تنيَّح في سنة ١٠٥٠ » (على حساب الارمن وهي السنة ١٦٠١ للمسيح) . ويوجد هناك ضريح آخر مكتوب عليه : « هذا ضريح المطران سركيس الذي تنيَّح بالربّ سنة ١٠٢٧ » (١٥٧٨ م) وعلى الضريح شارة الاراخي المقدسة هكذا

ولما دخلت الرهبانيَّة اليسوعيَّة الى حلب في العشر الثالث من القرن السابع عشر كان مرسلوها يهتمُّون كثيرًا بتبشير الارمن ويسعون في اعادتهم الى حجر الكنيسة الرومانيَّة . وممَّن يستحقُّون في ذلك ذكرًا خصوصيًّا الاب ح . شيزد (Aimé Chezaud)

المرسل الغيور الشهير باعماله وتآليفه . ومن مساعيه المشكورة ما رواهُ البشير في عدده ٧١٢ الصادر في ١ ايار من السنة ١٨٨٤ حيث ورد ذكر الرسالات اليسوعيّة في الشرق قال « انهُ كان في السنة ١٦٤١ يخصّص ثلاثة ايّام في كل اسبوع ليعلّم كهنة الارمن الفلسفة واللاهوت » . وقال في العدد ٧٢٢ انّهُ كان يدبّر في حلب اخويّتين احداهما للارمن » واضاف الى ذلك في عدده ٧٣٠ ما مفادهُ :

« وكان الارمن وقتئذٍ (اي في السنة ١٦٤١) في حلب كاثوليكيين وغير كاثوليكيين . امّا الكاثوليك فكانوا من بلاد ايران من اقليم نخشيوان . امّا باقي الارمن غير الكاثوليك فكانوا ايضاً موضوع غيرة الاب شيزو وعنايته . . . ومن اجلّ اعمال الاب شيزو في حلب انهُ سافر الى طاعة الكرسي الرسولي اساقفة ارمنيّاً فابدهُ المثاقفون فلاذ ببلاد الكبادوك حيث اعتزل في دير اقام فيهِ كرنيس وسار سيرةً رهبانيّة كانت نموذجاً للتقوى والفضائل النادرة . . وكفى بنا ان نقول انّ الاب شيزو تمكّن حينئذٍ ان يضمّ اكثر من الف ارمنيّ الى الدين الكاثوليكيّ (١) »

فيتّضح من هذا التاريخ انّهُ سبق عهد اليسوعيين وجود الكاثوليك بين الارمن في حلب وانّما اضافوا اليهم بغيرتهم عدداً وافراً من المرتدّين . وذلك مما يثبت ايضاً من رسالة أخرى للاب پوراسون (Poirresson) رئيس الرسلين اليسوعيين العام تاريخها سنة ١٦٥٣ حيث يخبر بان الاب شيزو خدم الارمن الكاثوليك في حلب خدمةً نصوحاً « فبالغ الامر لسفيهم الذي كان في العجم وهو من رهبنة القديس عبد الاحد فسُرّ بنشاطهِ وارسل اليهِ كتاباً يشكرهُ فيهِ ويمنحهُ السلطة لانشاء اخويّة الورديّة بين رعاياه (٢) »

فهذه بعض دلائل على وجود الارمن الكاثوليك في حلب قبل القرن الثامن عشر وكنّا نودّ لو امكننا الحصول على تفاصيل اخبارهم وحالة نفوسهم الّا انّ ندرة التواريخ المكتوبة في ذلك العهد لا تسمح بأن نسدّ هذا الخلل

ومن جملة افاضل الكاثوليك الادباء الذين ازهروا في ابرشيّة حلب قبل وناسة المطران ابراهيم ارزيفيان العالم النحرير مكرديج بن عبدالله الكسيح الشهير بفضلهِ وعلمهِ . لهُ عدّة تآليف نفيسة روحيّة وادبيّة وعلميّة منها حلّ مشكلات الانجيل

---

١) اطلب ايضاً P. Rabbat : *Documents pour servir à l'Histoire du XVIIme en Orient* (I, p. 53-54) ومما يستفاد من هذا التاريخ انّ الارمن كانوا وقتئذٍ في حلب عشرين الفاً بين كاثوليك وغير كاثوليك وانّ الاب شيزو كان يتبسل اعتراف كلّ عائلة الاسقف المنفي الى الكابادوك ٢) وفي رسالات الآباء الكبوشيين انّهم اعادوا الى الايمان الكاثوليكي كاثيادور بطرك الارمن في حلب سنة ١٦٥٥

وكتاب ريحانة الارواح وكتاب ظلّ الكمال في تشقيف الاعمال وضعهُ سنة ١٧١٠ للتجسُّد وكتاب فقة اللغة وقد مدحهُ السيد جرمانوس فرحات في ديوانهِ كما اشهر فضلهُ الخوري نيقولاوس الصائغ الذي وجّه اليه رسالة بديعة اثنى عليهِ فيها اطيب الثناء. (اطلبها في ديوانه في الصفحة ٢٨٧)

﴿ المطران ابراهيم ارزيفيان ﴾ فلنأتينّ الان الى سياق اساقفة حلب منذ اقيم على الارمن الكاثوليك اوّل اسقف قانونيّ وانتظمت سلسلة رعاتهم. ألا وهو ذلك المصباح الوهّاج الذي انار نفوساً لا يستوفيها احصاء. هداها الى معرفة الحقّ وسبق بها الى مراقي الفضيلة بغيرتهِ المقدّسة السيّد الجليل ابراهيم ارزيفيان الملقب بالنسر

ولما كان المشرق (٣: ٥٢ — ٥٦) قد ذكر في مقالة سابقة ترجمة هذا الرجل السامي الفضل واثنى على جليل اعمالهِ نحيل القرّاء الى مراجعة تفاصيلها. ونكتفي هنا بتدوين بعض تواريخ حياته. كان مولدهُ في عينتاب في ١٢ نيسان سنة ١٦٧٩ وقبل الكهنوت سنة ١٧٠٦ فبشّر بالايمان الكاثوليكيّ في كلّ انحاء البطريركيّة الارمنيّة ثمّ تفرّد في حلب لأعمال الوعظ والتعليم الى ان سيم اسقفاً على الشهباء سنة ١٧١٠ في كنيسة الاربعين شاهداً بحضور قناصل الدول الكاثوليكيّة فازداد عندئذٍ غيرة على مجد الله الاعظم وخلاص النفوس ونموّ الايمان الكاثوليكيّ. ولما نالتهُ محن عديدة اضطرّتهُ الى مباينة كرسيهِ اخذ يطوف بلاد الدولة العليّة منقطعاً للانذار والتبشير بين ابناء طائفتهِ الارمنيّة وخصوصاً في القسطنطينيّة وقيساريّة والعمرة وخصوصاً في طرابزون حيث استقام سنتين يكرز ويعلّم وقد ضمّ كثيرين الى الحظيرة البطرسيّة وخصّ ببني طائفتهِ اربع كنائس. ثمّ شارك السيّد ملكون طازباز مطران ماردين في اتعابهِ لكنّ العناية الالهيّة استبقتهُ لخير اعظم. فلمّا نجا من اعدائهِ اخذ يجول بلاد العراق وما بين النهرين مباشراً اعمال الرسالة باثمار لا تُحصى الى ان تمكّن من الرجوع الى حلب ابرشيّتهِ سنة ١٧١٩ فضاعف همّتهُ في خلاص نفوس شعبهِ وقد امكنهُ ان يجذب كثيرين من المطارنة والاساقفة والكهنة والاعيان لأن يتقدّموا الى الكرسيّ الرسوليّ معاريض تتضمّن صورة ايمانهم المستقيم وخضوعهم التامّ لسيّد الاحبار وتعلّقهم المتين بكرسيّ نائب المسيح على الارض. وقد صادق على هذه الاعراض الكاثوليكوس يرحنّا بطريرك الارمن وامضاه بختمهِ بما حرفهُ: «انا يرحنّا

انكاطوغيكوس أطلعتُ على هذه الاعراض وصادقت عليها مثبتًا بامضائي وختمي فمن لا يقبل هذا فليكن محرومًا». على انَّ هذه الاعمال الجليلة أثارت بعض الغريغوريين فعارضوا رجل الله دون اتمام مقاصده الصالحة كما ورد تفصيل ذلك في المشرق (٥٣:٣) حتى نجا منهم الى لبنان وابتنى دير الكريم

ثمَّ خمدت نار بغضة الغريغوريين فامكن المطران ابراهيم ان يعود الى حلب سنة ١٧٣٩ ونال الحظوى لدى واليها عثمان باشا ابن الدرجلي. وكان هذا الحاكم يعزُّ الكاثوليك لامانتهم في خدمة الدولة العثمانيَّة. واستعمل منهم احد الوجهاء وهو جرجس اسيون الصرَّاف وقدَّمهُ في الخدمة وبناء على ملتمسه نال الكاثوليك كنيسة السيدة وبرئت ساحة اسحاق ابن الصبَّاغ الوردي وغيره ممَّن كانوا اتَّبعوا الكنيسة الرومانيَّة

وفي السنة ١٧٤٠ احبَّ البابا بنادكتوس الرابع عشر ان يقيم خلفًا للرقا بطريرك سيس فاختار لهذا المنصب المنيف المطران ابراهيم ارزيقيان وخوَّلهُ هذه الرتبة برسالته المؤرخة في ٢٦ ت٢ سنة ١٧٤٢ وفيها يثني اطيب الثناء على البطريرك الجديد ولما رحل هذا الى رومية لزيارة الاعتاب الرسوليَّة لقي لدى الحبر الروماني مزيد الاكرام والحفاوة ونال منهُ درع الرئاسة وعدة امتيازات وتسمَّى باسم بطرس الاوَّل. ثمَّ عاد الى المشرق وقضى بقيَّة حياته في اعمال البرّ وتدبير طائفته الى ان مات برائحة القداسة في غرَّة تشرين الاول سنة ١٧٤٦ في دير الكريم وفيهِ دُفن بكل شرف واجلال.

وقد كتب ترجمة حياته العلَّامة داوديان بالايطالية ومنها نقل المشرق ملخَّص اعمال ذلك الراعي الصالح والحبر المفضال (لهُ بقية)

الى التراب تعود

بعض افكار لفكتور هوغو من قصيدة قالها عند وفاة ابنته عزَّيا بتصرُّف الاديب حنا ساره البتروني وبنيتهُ ان يبيِّن ما كان لذلك الشاعر الشهير من العواطف والافكار الدينيَّة الحسنة في بادئ امره وما آل اليهِ في آخر عمره فتأمل

وَيْكَ أتئدْ يا ايها الانسانُ لِمْ أنت في حب الدُّنى هيمانُ؟

ان كنت كهلًا او غلامًا يافعًا فلسوف تنهش جسمكَ الديدانُ
تسري على وجه البسيطة مثلما تسري السحابة او يسير دخانُ
تبًّا لهذي الدار ان نعيمها كخيال طيف شامهُ وسنانُ
وادي الدموع دعوتُها اذ جئتمو ها في دموع المهد يا رضعانُ
انت التراب الى التراب تعودُ قا ل الربُّ فاذكر ايها الانسانُ
ما أنت في دنياك الَّا مسافرٌ والى المسافر حنَّت الاوطانُ
لا تأتينَّ الاثم واعلم إن دعا داعي المنيَّة انَّك المدعانُ
ستجيبُ دعوتهُ على رغمٍ فلا تزعم بانك قادرٌ ملسانُ
فالموت خصمٌ ليس يقنعهُ خطيبٌ مصقعٌ او عالمٌ ملفانُ
مهما تكن بين الانام معززًا فلسوف يخفض عزَّك الرحمانُ
ان عشتَ دهرًا في الحياةِ منعَّمًا ستضمُّ يومًا جسمكَ الاكفانُ
اتروم ظلًا فالصفيحُ مظلةٌ او مؤنسًا فأليفك الديدانُ
أوَلستَ تشعرُ ان قرأت كتابةً فوق الضريح بها الرخام يزانُ
انَّ اسم صاحبها انَّحى من بعد ان كانت تسير بذكرهِ الركبانُ
حقًّا يصحُّ القول وهو حقيقةٌ انَّ الحياةَ لرسحٌ مزدانُ
كلٌّ يمثلُ دورهُ فيها على عجلٍ وثنَّت تنقضي الاكوانُ
والمرء إن بسم الزمان بوجهه يومًا جفاهُ دهرهُ الخوَّانُ
البرَّ والابحار والدنيا معًا عمَّ البلاء ولم يفتهُ مكانُ
يخطو بخطوة ظافرٍ نحو العدى ان ضمهم وسط الوغى ميدانُ
اذ جاءني لم يُبقِ لي شيئًا سوى أثرٍ تردَّد ذكرهُ الاخوانُ
قد كان لي مجدٌ عظيم انما تحت الثرى قد ضمهُ النسيانُ
مهلًا فهاك القبر فانظر لحظةً هذا الحجُّ وهاهنا الايوانُ
في ذكر هذا القبر تلقى سلوةً وبهِ يناجي ربهُ الولهانُ
« ربَّاهُ قد وافيت نحوك والقوا دُ معذَّبٌ فارحمني يا حنَّانُ
« اني اقرُّ الآن انك عادلٌ عدلٌ رؤوف صالحٌ منانُ
« لك كل ما فوق البسيطة والسما ولك السيادة والعلى والشانُ

« ولك الحياة وكلُّ مجدٍ خالدٍ ولي الرَّدى ومذلَّة وهوانُ
« انت القدير الحيُّ وحدك لا الـ ـسوك باسمك يخذل الطغيانُ
« أدميت قلبي حسرةً وكآبةً مني على الباوى لك الشكرانُ
« واذا تنازعت المصائب مهجتي فانا لامرك خاضعٌ مذعانُ
« فالمرء في دنياه يخلق للبكا وبدمع توبته لهُ الغفرانُ
« ويسير والايام تطوي عمرهُ حتى يوافي القبرَ وهو مهانُ
« فهناك يرقد ساكناً في رمسه وفعاله حكمٌ لهُ ولسانُ
« ان كان خيراً فالنعيم جزاؤهُ او كان شرًّا فالجزا النيرانُ

مطبوعات شرقية جديدة

HENRI MASPERO. Les finances de l'Egypte sous les Lagides. Mémoire présenté à la Faculté des Lettres de Paris pour le diplôme d'études supérieures. Paris, 1905, 8°, p. 272

مالية مصر في عهد البطالسة

قد أطلعتنا لفافن المصرية على الورق من اوراق البردي (البابير) التي استعملت بعد كتابتها لتحنيط موميا الانسان او الحيوان . وهذه الآثار الثمينة قد اخذ العلماء في درسها منذ ٢٥ سنة لما حُفرت مدافن الفيوم حفرًا نظاميًا فبرزت كنوز ادبية اقبل على دراستها الاثريون اقبال الجياع على القصاع . وكانت هذه الآثار في لغات شتَّى منها باللغة المصرية القديمة ومنها بالقبطية وبعضها باليونانية واللاتينية والارامية والعربية . اما مضمونها فكان بينها آثار ادبية عزيزة جدًا ايس العلماء من اكتشافها مثل كتاب سياسة الاثينيين لارسطوطاليس وقصائد الشاعر بَكْشيليد ومقاطيع تاريخية وفلسفية وشعرية . ومنها آثار شرعية تحتوي صكوكًا وعرائض وحججًا ومباعات واعلانات واوامر لارباب الدولة وجداول حسابات وقرائن مالية واوراق دعاوي ومكاتبات اهلية ودعوات الى الاعراس والمآدب وغير ذلك مما يحيي كل ادوار المعيشة الاقيمة في مصر منذ عهد الملوك البطالسة قبل المسيح بعدة قرون الى ايام الرومان فالبوزنطيين حتى ظهور الاسلام . وكان العلماء صرفوا جهدهم في الغالب حتى الان على نشر الآثار الادبية

لعظم شأنها واهملوا شيئاً الصكوك واوراق المعاملات التي يستدعي درسها زمناً طويلاً وشغلاً مملاً . الّا انّ هذه الاتعاب لم تثبط همّة المسيو هنري ماسپرو ابن الاثري الشهير فوجّه عنايتهُ الى احد الابحاث التي تهم تاريخ مصر القديم اعني مالية ذلك القطر في عهد البطالسة فجمع ما امكنهُ من تلك الاوراق والدفاتر والتقاويم الماليّة والرسوم الملكية وقابل بينها ودوّن خلاصتها الى ان استخرج منها تاريخاً موسّعاً يعرّف احوال مصر المالية في ايّام الدولة اليونانية القائمة بعد الاسكندر الى عهد الدولة الرومانية وقد جاء هذا التاريخ مبتكراً في بابهِ تلقّاهُ محبُّو الآثار المصريّة باطيب الثناء . وقد افتتح المؤلف كتابهُ بدرس احوال التربة في مصر وشروط الاملاك التي عليها بُنيت قوانين الجباية ورسوم الجزية لتعمير دار المال والخزينة الملوكية . وقد فصّل هذه الاموال الاميرية الى صنفين منها ما يُجمع من واردات الاملاك الخاصّة ومحصولات الاحتكارات وقد بيّن المسيو هنري ماسپرو ما كان احتكرهُ الملوك البطالسة كرعاية الخنازير والاوزّ ومحصولات الزيت والعسل والاقمشة وبعض اجناس الحبور والسمك وبعض المعادن كالنطرون والملح وكذلك الغابات ومقاطع الحجارة والمرّ . وكلّ هذه الاموال للخزينة الخاصّة وبيت الملك . والصنف الاخر يتركّب من الضرائب واصناف الجزية المفروضة على املاك الرعايا والشركات وعلى بعض الحرف وطبقات اهل الدولة . ثمّ على الدواوين والصادرات من الداخل والواردات من الخارج وعلى الدعاوي والمواريث والمبايعات والعهود . هذا فضلاً عما يدخل الخزينة من الجازيات النقديّة واستيفاء اموال الجناة ومحصولات المستعمرات . وقد ألحق المؤلف هذا القسم بقسم آخر بيّن فيهِ نظام دولة البطالسة في جمع هذه الاموال وما كان لها من العمّال وكيفيّة اجراء هذه الضرائب وتدوينها وضبطها . فهذه لمحةٌ وجيزة تبيّن فوائد هذا الكتاب وفضل صاحبهِ الذي تقفّى آثار والدهِ فاستحقّ منذ دخولهِ في الميدان ان يجاري افضل علماء العاديّات المصريّة

الاب ل . جلابرت

G. FERRERO: Grandeur et Décadence de Rome—II. JULES CÉSAR. 2de éd., Paris. Plon-Nourrit. 1905. 8° VI - 458

عظمة رومية وانحطاطها — القسم الثاني : يوليوس قيصر

ليس في التاريخ الروماني رجلٌ تعدّدت فيهِ التآليف كيوليوس قيصر حتى انّنا كنّا

نظنُّ أنَّهُ يتعذَّر العود الى هذا الموضوع بنوع مفيد ولذَّ معاً . وها ان المسيو فريرو قد اتى بما لم يعلق بوهم فانَّـهُ ابرز كتاباً واسعاً في هذا الصدد كساهُ بجلباب من الحسن والبهاء فاستوقف اليهِ ابصار كبار العلماء مع نظر القرَّاء الادباء . فالعلماء يجدون في هذا الكتاب لُباب الابحاث الواسعة التي خاض فيها ارباب الآثار الرومانيَّة وهو ينظر فيها نظر الحكم المدقق العادل . اما الادباء الذين يطلبون التآليف الرائقة البديعة الانشاء الكثيرة التفنُّن في اساليب الكتابة فانَّهم قلَّما يجدون كتاباً كهذا في انسجام كلامهِ والتحام اقسامهِ ووضوح معانيهِ فيقرأونهُ قراءتهم للروايات الشائقة . وهو يمثل لهم ذلك الرجل العظيم في كلّ اطوار حياتهِ كجنديّ باسل وفاتح جسور وسياسيّ محنَّك وكاتب ضليع الى أن يصوّرهُ صريعاً قتيلاً بيد قوم خافوا سطوتهُ فلم يشاؤوا ان يساعدوهُ على نجاة وطنـهِ . ومن خواصّ الكاتب أنَّهُ لا يكتفي بذكر مآثر يوليوس قيصر بل يعمل فيها نظر الانتقاد ويسبر غورها ويعرضها على محكّ مبادئ فلسفة التاريخ . وعليهِ لا نرى الَّا الثنـاء على هذا التأليف الذي نخصُّ القرَّاء على تسريح النظر في رياضهِ النضرة

لهُ

Die sumerischen Verbal-Afformative nach den aeltesten Keilinschriften v. *D^r Brummer*, 1905, V - 82 pp., 8°, *Leipzig, Harrassowitz.*

صيغة الافعال في اللغة السُّومريَّة

السومريَّة لغةٌ كانت شائعة بين قبائل لا تنتمي الى سام بن نوح سبقت عهد قدماء الكلدان ومنهـا اخذ الكلدان خطَّهم المساري وعدَّة الفاظ وتعابير . لكنَّ كثيرين من العلماء لا يسلّمون بوجود هذه اللغة السومريَّة ويزعمون انها من لغات بني سام . والفريقان لا يختلفان مع ذلك في نصوصها وتغيّر آثارها . اما الدكتور برومر فمع علمهِ بهذا الخصام جمع في كتاب خاصّ ما رآهُ اقرب الى الصحَّة في ذلك وبحث خصوصاً في صيغة افعال تلك اللغة المشبوهة بالحروف التي تُجعل في اوَّلها كحروف المضارعة في العربية . وفي كلّ هذه الابحاث ترى الدكتور المومأ اليهِ ينهج في اقوالـهِ نهجاً وسطاً مراعياً للحقيقة قبل الكلّ . وممَّا لستحسنَّاهُ قولهُ في شرح بعض الاشارات الواردة في الكتابات المسماريَّة وقد اعجبنا فوق الكلّ ما ذكرهُ في آخر كتابـهِ عن

الموافقة بين اللغتين السومريَّة والاكَّاديَّة . ونتمنَّى ان يجري العلماء على منوالهِ فتلوح الحقيقة باجلى مظاهرها الاب ي . نيران

Le Traducteur, journal bimensuel pour l'étude des langues allemande et française, paraissant à la Chaux-de-Fonds (Suisse). Abonnement. par semestre, fr. 2, 50

المترجم – مجلَّة لدرس اللغتين الافرنسيَّة والالمانيَّة

هذه مجلَّة حديثة غايتها درس اللغتين الافرنسيَّة والالمانية والترجمة من احداهما الى الثانية على طريقة سهلة قريبة المنال ودون نفقة كبيرة . وهي تحتوي على مقاطيع مبهجة واخبار شائقة وشذرات علمية . ومن فوائدها ان المشتركين بها يقفون على عناوين مُكاتبين غرباء يمكنهم ان يناوضوهم لاشغالهم

لغز الحياة

الجزء الاوَّل . للاب فرنسيس يواكيم المرسل الرسولي الماروني

طبع في مطبعة جريدة الهدى (سنة ١٩٠٥ ص ٤٧)

نشكر حضرة الاب يواكيم احد طلبة مدرستنا الاكليركيَّة سابقًا على تفرُّدهِ لدرس المباحث الفلسفية في الاقطار الاميركية بين ابناء جلدتهِ فانَّ السوريين الذين في تلك الاصقاع كثيرًا ما ينهمكون في الاعمال الماديَّة التي تشغلهم عن الفكر في المسائل الدينية والمباحث الفلسفية مع عظم شأنها . ومن ثمَّ قد احسن حضرتهُ بنشرهِ هذا الكتاب المعنون بلغز الحياة . ضمَّنهُ اربع مقالات في الخلق واوائل الانسان وسقوط الابوين الاوَّلين . وذلك على طريقة المخاطبات لتزيد رغبة القرَّاء في مطالعتها بارزةً على هذه الصورة الشائقة الحسية . وكان حضرتهُ سبق وكتب مقالة أُخرى في معنى الحريَّة الصحيحة التي خوَّلها الخالق لمخلوقاتهِ الناطقة تمييزًا لها عن الحريَّة الباطلة التي يجعلها البعض متوقفةً على اطلاق العنان لكلِّ الشهوات والاميال المنحرفة . فنكرِّر الثناء على حضرة الكاتب ونحضُّ القرَّاء على مطالعة هذه الاسفار المفيدة ل . ش

شذرات

مصل الحمى التيفوئيدية فصل الطبيب برونو من روان احدى

ايالات فرنسة النتائج التي حصلها من علاج الحمى التيفوئيدية بالمصل الذي كشفهُ الدكتور شانتمس . قال انهُ من يوم شروعهِ باستعمال المصل المذكور هبط معدل الوفيات في المستشفى الذي يديرهُ الى ١ في المائة بعد ان كان قبل ذلك ١٧ في المائة اما مدة المرض فكانت ١٨ يوماً بين المرضى الذين حقنوا بالمصل في الاسبوع الاول و ٢٠ يوماً بين الذين لم يحقنوا الَّا في الاسبوع الثاني و ٤٠ يوماً بين المرضى الذين حُقنوا بعد ذلك

﴿ مصل شاف من الدوسنطارية ﴾ قرأنا في جريدة فرنسة ان كلًّا من الاستاذين فاليار ودوبفر رفعا بتاريخ ٢٠ شباط الماضي تقريراً عظم الاهمية عن علاج الدوسنطارية بالمصل فقالا انهما حقنا الاحصنة بشيء من باشلس الدوسنطاريا الحي فحصلا بهذه الوسيلة مصلًا يشفي من الدوسنطاريا المؤكدة وقد جرَّبا المصل المذكور في ٩٦ حادثة تختلف ثقلًا واهمية ففعل المصل في جميعها فعلًا حسنًا لانهُ ادَّى الى الشفاء بعد أيام قليلة في الاحوال الخفيفة والمتوسطة وشفى ايضًا في الحوادث الثقيلة لكن بمدَّة اطول . وفي كل الاحوال كان المريض يشعر بتحسين من اول حقنة بالمصل اما المقدار الذي يجب الحقن بهِ فيختلف بين ٣٠ و ٦٠ سنتيمترًا مكعبًا في الحوادث المتوسطة غير انهُ في الحوادث الثقيلة يجب ايصالهُ الى ٨٠ و ١٠٠ سنتيمترًا (البشير)

﴿ من فمك ادينك ﴾ يذكر قرَّاؤنا تزييفنا لقول الهلال (المشرق ٣ : ٤٠٩) في اعمار الآباء الاوَّلين وقد زعم انَّ سني حياتهم المذكورة في التوراة ليست اعمارهم الشخصيَّة بل اعمار قبائلهم . وفي العدد الاخير من هذه المجلة (شباط ١٩٠١ ص ٢٨٧) نظرٌ في حياة الانسان قبل الطوفان وبعد الطوفان فيقول انَّ معدَّل حياة الانسان كان قبل الطوف الف سنة وضرب مثل نوح الذي عاش ٩٥٠ سنة وينسب طول حياة اولئك الاوَّلين لاقتياتهم بالنباتات والاثمار . فكيف يا ترى ندي صاحب الهلال قوله السابق انَّ اعمار الاباء الاوَّلين اعمار قبائل لا اشخاص بعينهم . ألَا يحقُّ لنا تكرير قول الربّ (لوقا ١٩ : ٢٢) : من فمك ادينك

وكذلك اخذنا على الضياء الذي اورد في حواشيهِ على مقالة جناب سليم بك عنحوري (ص ١٠٥) ان قصَّة جليات الجبَّار من الاساطير الخرافيَّة . ولا نظنُّهُ فعل ذلك الَّا لانهُ استغرب طول ذلك الفلسطينيّ الذي جعل الكتاب المقدَّس (١ ملوك ١٧ : ٤) طولهُ ستَّ اذرع وشبرًا اعني مترين وستين سنتمترًا على قياس الذراع في ذلك

العصر . وها هوذا جناب البك في مجلّته الحديثة التي سمّاها « مجلّة الشتاء » قد كتب نبذة في فرقة الجبابرة اراد بها جرس امبراطور المانية (ص ٨١) ذكر انّ بينهما شاباً لا يتجاوز عمرهُ عشرين سنة يدعى وليم بازو طول قامته ٢ متران و ٤١ سنتمترًا . فترى انّ الفرق بينهُ وبين جليات اقلّ من ٢٠ سنتمترًا ولعلّ بازو يبلغ طول جليات قريباً . فما لهُ اذن نسب الى الاساطير الخرافيّة رواية الكتاب المقدّس . ومن ثمّ نكرّر لهُ ايضاً قول الربّ : من فمك ادينك

مكتبة ايا ثاوغ قرأنا في جريدة بيروت الصادرة في ٥ اذار غربي تحت هذا العنوان ما حرفهُ :

كان المسيو « هارون دوسلفيوس » من العلماء الاثريين في فرنسا الف كتاباً ذكر فيهِ خلاصة بحثهِ في الكتابات القديمة وقدمهُ للمجمع العلمي في فرنسا . وتقول صحف الاستانة ان المذكور قد قدم الان الى المجمع المرما اليهِ مصور المكتبة التي اكتشفت في خرائب « ايانلوغ » وايان ان جدران المكتبة قد جعلت رصفين على قصد حفظ الاثار التي في داخلها من تأثيرات الاقليميّة ثم ارى المجمع بواسطة السيناتوغراف اشكال كتابة تدل على اسماء وانواع الجوائز التي أعطيت لطلبة مكتب ايل في اثناء الامتحان الذي جرى قبل الميلاد بمئة وعشر سنوات وقد ظهر من دلائل الكتابات ان نائل الجائزة الاولى هو الفائز قصب السبق في السير على القدم

وهذا المصور الذي اخذهُ بالفوتوغراف المسيو « لوني زادلابر » من معلمي المكتب الفرنسوي في بيروت ترى فيهِ التقسيمات الداخلية للمكتبة المدينة المذكورة كانها ظاهرة للعيان

(المشرق) انّ في هذه النبذة اموراً غير صوابيّة لا نرى بُدًّا من اصلاحها كما ترى : قد تلا العلّامة كانيات (Cagnat) في المكتب العلميّ الفرنسويّ في تاريخ ٢ شباط ١٩٠٦ مقالةً عن مكتبة وُجدت في تجاد من اعمال الجزائر قابل رسمها ورسم مكتبة أخرى في افسوس المعروفة بايا سلوق (Bibliothèque Kélsos) مع رسم بناية وُجدت في ساحة مدينة بومپاي وزعم المكتشفون انّها هيكل للآلهة شفعاء المدينة فاستنتج انّ بناية بومپاي ليست بهيكل بل هي خزانة كتب . فانتهز هذه الفرصة احد اعضاء المكتب العلميّ وهو هيرون دي ڤيلفوس (Héron de Ville-fosse) فعرض على الحضور صورة شمسيّة كان الاب لويس جلابرت استاذ العاديّات اليونانية في مكتبنا الشرقيّ ارسلها لهُ وهي تمثل بغاية الدقّة رسم مكتبة افسوس القديمة — وكان سبق المسيو كانيات في خطابهِ عالم آخر اسمهُ هوسوليه (Haus-soullier) فاعلن لاعضاء المجمع العلميّ اكتشاف ثلاث كتابات يونانيّة في اخربة

بابل . والواحدة منها خطيرة تاريخها من عهد بني ارشك والسلوقيين في سنة ١١٠ ق م وهي تتضمن اسماء بعض الحاجّين لجوائز السباق من طلبة مكتب بابل — فهذه الرواية الصحيحة فتأمل

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد وجوه البلدة لايّ سبب يُدعى الحي المجاور لكنيسة مار جرجس رجال الاربعين

رجال الاربعين

ج يقال لهذا المكان رجال الاربعين وسوق الاربعين لأنّ هناك كانت قديمًا كنيسة باسم الشهداء الاربعين الواقع عيدهم في ٩ آذار (راجع تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ص ١١ في الحاشية) وبقربها آثار من اعمدة وغيرها يُقال انها من بقايا تلك الكنيسة

س وكتب حضرة الخوري يعقوب غانم : « قرأتُ في مخطوط كرشوني قديم ذكر مطران كرسف او خرشف في لبنان ومطران دلفو او دلفي ورد امضاؤهُ في المشرق سنة ١٩٠٥ صفحة ٤٦٥ وذكر مطران عرطوز فهل هي ارتوزي شماليّ لبنان بابدال العين همزةً حسب اصطلاح الرومان كما لفظوا امانو في جبل عمّانو . وايطوريين . في القوم الحيطوريين سكّان الجبل . واين موقع هذه المراكز الاسقفيّة المذكورة . وماذا تسمّى بيومنا هذا . وكذلك قرأتُ بالتاريخ انّ شيعة المتاولة نزحوا من جبل كرمان والعراق العجمي الى سهل البقاع وجنوبيّ جبل لبنان في اواخر القرن العاشر للمسيح . فأكرموا بالافادة عن سبب هجرتهم من العراق الى لبنان وبايّ سنة كانت »

كرسف – دلفي – عرطوز – المتاولة في البقاع

ج نجيب على اننا لم نجد في انحاء لبنان ذكرًا لمكان يُدعى كرسف او خرشف . اما دلفو او دلفي فلا نعلم أيُراد بها مدينة دلفي في اليونان اذ يبعد عن التصديق ان اسقفًا مارونيًا يُنسب الى كرسيّ يونانيّ ما لم يُقَل ان رومية منحتهُ هذا الاسم شرفًا — اما عرطوز فمن المحتمل ان تكون ارتوزي في شماليّ لبنان لكن الشرح الملحق بتغيير الاسم ليس بحوالييّ فان جبل امانوس لم يُدعَ قط بمانو كما لم يُسَمَّ الايطوريّون بالحيطوريين . ثم نرجيء جوابنا على سؤال حضرته الاخير ريثما يفيدنا في ايّ تاريخ وجد الحجر المشار اليه